صور من مظاهر حضارة اليمن وأثرها في الحضارة الاسلامية

للدكتور حسن سليمان الجهني

خلاصـــة :

يهدف هذا البحث الى القاء بعض الأضواء على ما قام به اليمنيون في ميادين الحضارة الاسلامية في الاقطار التي استقروا فيها ، وهو يتكون من ثلاثة أقسام رئيسة هي : موقع اليمن الجغرافي وأهميته ــ الكشف عن تاريخ اليمن القديم ــ الأثر الحضاري . وتتناول هذه الأقسام العناصر الآتية :

أ ــ ما قاله المؤرخون القدامى عن بلاد اليمن .

ب ــ نشاط اليمنيين في الزراعة .

جـ ــ المعادن والصناعات المختلفة في بلاد اليمن .

د ــ اهتمام اليمنيين بالتجارة وأثرها .

هـ ــ انتشار اليمنيين خارج بلادهم وآثارهم في النواحي الآتية :

١ ــ آثارهم على الشاطيء الشرقي لافريقية والحبشة .

٢ ــ آثارهم في الاسلام والدولة الاسلامية .

٣ ــ آثارهم في الأندلس .

٤ ــ آثارهم في المغرب .

٥ ــ آثارهم في مصر .

و ــ أثر اليمنيين في تاريخ الحضارة الاسلامية .

ز ــ تعليقات وملاحظات .

موقع اليمن الجغرافي واهميته :

تقع بلاد اليمن في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية بين خطي عرض ١٢ ، ١٩ شمالا ، وبين خطي طول ٤٣ ، ٥٣ شرقاً . وبهذا تقع كل بلاد اليمن في المنطقة المدارية . وتبلغ المساحة الكلية لبلاد اليمن نحو ٤٨٣,٠٠٠ كيلومتر مربع ، أي مجموع مساحة العراق والكويت ولبنان وفلسطين المحتلة ، كما يبلغ سكان اليمن حالياً حوالي سبعة ملايين نسمة .

وبلاد اليمن بموقعها الجغرافي في جنوب غربي الجزيرة العربية ، تحتل مكانة بارزة من حيث الأهمية التجارية والاستراتيجية منذ أقدم العصور ، ففي العصور التاريخية القديمة ، كانت بلاد اليمن

يحتل موقعاً وسطاً على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب . ولعل طريق قوافل التوابل الذي كان يبدأ من جنوبي بلاد اليمن ، ويستمر شمالاً الى بلاد الشام ، علامة بارزة على أهمية هذه البلاد ، وأهمية ما قام به سكانها في التجارة القديمة بين بلاد الهند والصين من جهة ، وبلاد البحر المتوسط وأوربا من جهة أخرى .

ولقد ظل هذا الموقع الممتاز محتفظاً بأهميته في العصور الوسطى ، والعصور الحديثة أيضاً ، حين برزت القوى الاستعمارية الأوروبية ، على مسرح التجارة والسياسة العالمية ، وأخذت تتصارع على طريق التجارة العالمية نفسه بين الشرق والغرب . ومن هذه القوى الاستعمار البرتغالي والهولندي والفرنسي والبريطاني ، وقد عرفت جميعها الأهمية الاستراتيجية — التي أضفاها الصراع على طريق التجارة — لبلاد اليمن ، وبخاصة موانيها الجنوبية ، المتحكمة في مدخل البحر الأحمر ، كميناء عدن وجزيرة بريم .

وتظهر الأهمية الاستراتيجية ، في الوقت الحاضر لبلاد اليمن ، في أن هذه المنطقة تمثل مدخلاً من أهم مداخل الوطن العربي من جهة الجنوب ، وتعتبر وجه هذا الوطن المطل على شرقي افريقية والمحيط الهندي . بل لقد اسهم سكان اليمن وتجاره في نقل الاسلام وانتشاره في بلدان شرقي افريقية (١) . وفي جزر الهند الشرقية و اندونيسيا . . . .

كذلك تظهر هذه الأهمية الاستراتيجية — في الوقت الحاضر — في أن بلاد اليمن الحالية تتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وتعرف اسرائيل هذه الأهمية ، لذلك تحاول أن تخلق لها وجوداً في بعض الجزر الكائنة هناك ، فقد أبلغ مندوب حكومة اليمن الديمقراطية — المسئول في الجامعة العربية — في شهر سبتمبر سنة ١٩٧١ ، أن هناك وجوداً اسرائيلياً في جزيرة (أبو علي) التي تديرها أثيوبيا ، بوساطة الخبراء الاسرائيليين — غير الرسميين — الموجودين في أثيوبيا .

ومما يؤكد الموقع الجغرافي ، لبلاد اليمن ، وأهميته في التجارة العالمية ، أن الساحل الجنوبي لهذه البلاد ، يضم ميناء عدن ، التي تمتلك المرفأ الجيد الوحيد ، على طول الطريق البحري بين مصر وباكستان بالاضافة الى ميزة موقعه المتوسط على هذا الطريق فقد جعل عدن ، من أعظم موانيء العالم نشاطاً في حركة تموين السفن المارة بالوقود ، خصوصاً قبل اغلاق قناة السويس بسبب العدوان الاسرائيلي على البلاد العربية في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ ، وبعد فتح القناة في الخامس من يونيه سنة ١٩٧٥ ، عاد النشاط مرة أخرى الى ميناء عدن ، وغيره من موانيء البحر الأحمر .

الكشف عن تاريخ اليمن القديم :

ان كل ما كتب عن تاريخ بلاد العرب ، أو الشعوب العربية ، في العصور القديمة لا يتعدى محاولات جاءتنا نتيجة جهد مضن قام به جماعة المشتغلين بالدراسات الشرقية من لغوية ودينية .

والكتب السماوية : التوراة والأنجيل والقرآن الكريم ، تكون مصدراً تاريخياً من أهم المصادر التي وصلتنا . فهي تؤرخ الشعور الديني العربي ، في فترة تبلغ من عمر تاريخ الشرق نحو ألف وخمسمائة سنة . وهذه فرصة لم تتح لشعوب العالم ، ولكن نلاحظ أن الاسلام ، حارب الوثنيّة العربية الجاهلية ، حرباً شعواء ، كما حارب كل ما يتصل بالجاهلية ، حتى الشعر الذي هو ديوان العرب ، قد سخر القرآن

منه ومن قائليه . فاذا كان الأمر كذلك مع اللغة . التي نزل بها القرآن ، فموقفه من لغة الوثنية ، يجب أن يكون أمرّ وأشد . لذلك أهمل المؤرخون المسلمون عامدين . رغبة الكتابة في تاريخ العرب ، والجزيرة العربية . ففقدوا مصدراً هاماً من مصادرهاالتاريخية ، أعني الكتابة العربية القديمة . التي كانت موجودة على النقوش ، ونتيجة لهذا الاهمال . شحنت كتبهم بالقصص والأساطير . التي لا تمت الى الأسس التاريخية العلمية بصلة كما هو واضح في كتب الطبري وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون وغيرهم * وعلى المؤرخ الحديث أن يكون حذراً عند محاولة الاستفادة من هذه الكتب العربية .

ومن أجل ذلك كله . ظل تاريخ اليمن الحقيقي مجهولاً . حتى تنبّه علماء الآثار والمستشرقون في القرن الثامن عشر الميلادي ، الى أهمية بلاد اليمن ، واتجهت أنظارهم نحوها للبحث في آثارها . والتنقيب عن — كنوزها التاريخية ، خدمة للعلم ، ولكن ما لاقاه بعضهم في اليمن ، حيث فقدوا ، أو قتلوا على يد الأهالي ، قلل من حماسة أولئك العلماء . للتوغل في تلك البلاد . ودراسة آثارها .

وعلى رغم هذه المخاطر حصلت البعثات العلمية (٢) التي توالت على بلاد اليمن منذ القرن الثامن عشر للميلاد ، من البلاد الأوربية ، على كثير من المعلومات عن تاريخ اليمن القديم وقاموا بنشرها ويقول الدكتور أحمد فخري ص ١٢٥ « لقد بلغ عدد النقوش اليمنية التي عثر عليها العلماء أكثر من خمسة آلاف نقش فيها الكثير من المعلومات عن ممالك جنوب بلاد اليمن » . ومع ذلك فلا تزال الأبحاث التاريخية والأثرية الخاصة بممالك وحضارة اليمن القديم قاصرة ، بل إن بعضها يناقض بعضها الآخر ولا سيما في تحديد أزمان تلك الممالك وأسماء ملوكها .

ولقد كشفت البعثات العلمية . التي توالت على بلاد اليمن . عن أسماء خمس ممالك يمنية قديمة . بالاضافة الى عدد من الإمارات الصغيرة . التي لا تزال المعلومات عنها غامضة . وهذه الممالك هي : مملكة معين (١٤٠٠ — ٨٥٠ ق.م) (٣) . مملكة حضرموت (١٠٢٠ق.م — ٦٥م) (٤) . ومملكة سبأ (٨٥٠ — ١١٥ ق.م) (٥) . ومملكة قتبان وأوسان (٨٦٥ — ٥٤٠ ق.م) (٦) . ومملكة حمير — (١١٥ ق.م — ٥٣٣م) (٧) . وقد امتد حكم هذه الممالك نحو ألفي سنة من ١٤٠٠ ق.م حتى سنة ٥٣٣م) .

والواقع أنه منذ القرن الأول الميلادي . أخذت حالة بلاد اليمن الاقتصادية تتدهور ، ونتج عن ذلك انهيار الأحوال العامة في تلك البلاد . وأخذ اليمنيون يهاجرون الى الأقطار الأخرى . بحثاً عن مصادر جديدة للرزق .

ولكن ما الأسباب التي أدت الى هذا التدهور في اليمن ؟ هناك في الواقع سببان رئيسيان :

السبب الأول : أن الملاحين اليونان والرومان . عرفوا كيف يستفيدون من اتجاهات الرياح الموسمية في المحيط الهندي ، أي الاستفادة من الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في تسيير السفن المتجهة من البحر الأحمر الى بلاد الهند مباشرة . والرياح الموسمية الشمالية الشرقية حين عودتها ، وقد ترتب على هذا الاكتشاف العظيم . اختصار المسافة بين البحر الأحمر والهند ، وذلك باجتياز الطريق البحري رأساً الى

---

* راجع : D.S. Margolioush: Lectures On Arabic Historians

ساحل ملبار بالهند . بدلاً من التزام الشاطىء العربي . والسير بمحاذاته .

ومع أننا نسمع فيما بين عامي ١٢٠ ، ١١٠ق.م . عن رحلات بحرية مباشرة من مصر الى الهند كان يقودها « يودكسوس الكيزيكي » إلا أن طرق الاستفادة من الرياح الموسمية في المحيط الهندي تنسب الى يوناني يدعى « هيبالوس — Hippalus » وكان ذلك في العصر البطلمي المتأخر ، في الفترة ما بين ٩٠ ، ٨٠ ق.م . ويبدو أن « هيبالوس » هذا قد تعلم خلال رحلات « يودوكسوس » فن الملاحة المباشرة في المحيط الهندي ، من بلاد العرب الى الهند . بمساعدة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تهب صيفاً .

وكان هذا الاكتشاف يعني تخلص التجار اليونانيين والرومانيين من سيطرة الوسطاء العرب في جنوب الجزيرة العربية . كما تخلصوا أيضاً من قراصنة الساحل الجنوبي لبلاد العرب . ذلك الخطر الذي طالما تعرضوا له . عندما كانوا يتحسّسون طريقهم الى الهند على طول هذا الساحل (٨) .

وقد عرف الرومان أهمية هذه التجارة القيمة . التي كانت تعبر البحر الأحمر . كما عرفوا أيضا أهمية ميناء عدن . على طريق الملاحة الى الشرق ، فعملوا على حماية التجار من القرصنة البحرية ومن قبيل ذلك أن الامبراطور أوغسطس أمر بقيادة الحملة التي قادها « ايليوس جالوس » في سنة ٢٥ ق.م . وذلك لاشعار عرب الجنوب بقوة الرومان . ولكن هذه الحملة فشلت بسبب المصاعب التي قابلتها . لا بسبب المقاومة (٩) . وقد عاود الرومان محاولة السيطرة على بلاد اليمن . حينما احتلوا ميناء عدن في عهد « كلاوديوس » الذي حكم بين عامي (٤١ — ٥٤م) .

أما السبب الثاني لتدهور بلاد اليمن في ذلك الوقت . فيتمثل في الخلاف المحتدم . والنزاع الدائم بين الحميريين ، ومن تبقى من سلالة الديدانيين وانصراف ملوك حمير الى الاهتمام بالغزو والحروب . واخضاع الأطراف . أكثر من اهتمامهم بالزراعة والعمران . وكان هذا الاتجاه الحربي ، الذي سلكه ملوك حمير . واهتمامهم بتشييد القصور . واستبدالهم مدينة مأرب بمدينة ظفار الاستراتيجية ، من أهم العوامل التي أخّرت اليمن اقتصادياً ، وأثرت بالتالي على عمرانها وازدهارها . ويضاف الى كل ذلك استمرار الهجرة الى خارج اليمن . ولا سيما بعد اهمال السدود وتهدمها .

والنتيجة أن ما أوردناه في هذا من الأسباب والعوامل ، أدى الى سقوط الدولة الحميرية وتدهور بلاد اليمن . وجعل من هذه البلاد معتركاً سياسياً بين اليهودية والمسيحية . فلقد نزح اليهود من فلسطين الى اليمن . بعد أن احتل القائد الروماني « تيتوس Tettos » القدس سنة ٧٠م وحطم هيكل اليهود بها . وبعد فترة من الزمن . تمكن اليهود من السيطرة على مرافق اليمن التجارية . الأمر الذي ساعدهم على نشر دينهم في اليمن . وكان أول من اعتنقه الملك أسعد الكامل (٣٨٥ — ٤١٥م) فيما يرى بعض الباحثين . ثم اعتنقه من بعده ذو نواس (٥١٥ — ٥٢٤م) . وهو آخر الملوك الكبار لدولة حمير .

وقد أدى تعصّب ذي نواس للدين اليهودي الى ايقاعه بنصارى نجران في قصة الأخدود المعروفة في القرآن الكريم بسورة البروج ، وذلك بعد أن شكا اليه يهود نجران غلبة النصارى عليهم ، أثر نشوب فتنة بين الجانبين . فقام ذو نواس الى نجران سنة ٥٢٣م وحفر الأخدود وأشعل النيران ، ثم خير النصارى بين الرجوع عن دينهم . أو إلقائهم في الأخدود . فأبى الكثير منهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأحرقهم في الأخدود .

وقد كان ما أقدم عليه ذو نواس مثاراً لاستنكار معتنقي المسيحية في أوربا والحبشة . وأصبحت اليمن من بعد هذا الفعل ، مسرحاً للنزاع والحروب بين اليهود في اليمن . وعلى رأسهم ذو نواس ، وبين المسيحية ومن ورائها قيصر الروم ، ونجاشي الحبشة . فقد كتب قيصر الروم الى نجاشي الحبشة — وهو أيضاً على دين النصارى — أن يجرد حملة عسكرية للقضاء على ذى نواس وأتباعه من اليهود في اليمن . فأرسل النجاشي حملة تتكون من أربعة آلاف جندي بقيادة أرياط ، وجرت بين الفريقين معارك ضارية . انتصر الأحباش في نهايتها ، وألقى ذو نواس بنفسه في البحر (١٠) .

وهكذا انتهت دولة الحميريين ، واستولى الأحباش على اليمن سنة ٥٢٥م . وفي خلال هذه الفترة قام أبرهة بن صباح الأشرم — وكان أحد قادة جيش الحبشة ، بثورة ضد النجاشي في اليمن فقتل القائد أرياط وأعلن نفسه ملكاً على اليمن (١١) ، وأبرهة هذا هو الذي بنى كنيسة « القليس » بصنعاء وأرغم الناس على الحج اليها ، بدلاً من البيت الحرام ، وهو أيضاً صاحب قصة الفيل المذكورة في القرآن الكريم . وكان متحمساً للنصرانية ، ودام حكمه على اليمن ثلاثاً وعشرين سنة ثم خلفه ابنه يكسوم ، ثم ابنه الآخر مسروق ، الذي انتهى حكمه لليمن سنة ٥١٩م . عندما قام سيف بن ذي يزن ، بثورته المشهورة ضد الأحباش .

وفي خلال الأربع والسبعين سنة ، التي حكم فيها الأحباش اليمن ، قامت حروب طاحنة بين أمراء اليمن ، وقوات الاحتلال الحبشي ، وانتهز سيف بن ذي يزن ، فرصة ضعف مسروق الحبشي ، فأخذ يستنهض العرب ضد الأحباش ، رغبة في تخليص البلاد من الاستعمار الأجنبي ، واستنجد بكسرى أنوشروان — ملك الفرس — فأمده بحملة قوامها ثلاثمائة رجل بقيادة (وهرز) ، وأدت هذه المساعدة الى قتل مسروق وطرد الأحباش من البلاد (١٢) . وتولى ابن ذي يزن أمر اليمن من قبل كسرى ملك الفرس ، وقد وفدت الى سيف بن ذي يزن الوفود العربية ، ومنها وفد مكة المكرمة ، الذي تقدمه عبد المطلب ، جد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك قبل البعثة النبوية بنحو عشرين عاماً .

وبعد وفاة سيف بن ذي يزن ، تولى حكم اليمن المرزبان بن وهرز ، من قبل كسرى ، وجاء بعد ذلك التيجان بن المرزبان ، ثم خسرو بن التيجان ، ثم باذان ، الذي ظل والياً على اليمن حتى جاءت البعثة النبوية سنة ٦٢٨م ، فدخل مع أهل اليمن في الاسلام .

وما بزغ نور الاسلام ، حتى انتقل مركز الجزيرة الى الشمال ، وصارت حوادث التاريخ الاسلامي بعد ذلك تجري من مواطن شمالية ، وقام الحجاز مقام اليمن ، واليه آلت مكانة ذلك القطر الجليل . وطوال العصور الوسطى ، كان شأن اليمن ضئيلاً ، وأموره ثانوية في نظر حكومات الخلفاء المتعاقبة ، لأنها أمور قطر سحيق ، قليل الأثر في حياة الدولة ، أما أهل اليمن الذين بقوا في بلادهم ، والذين خرجوا منها بعد الاسلام فقد كان لهم شأن كبير في الحضارة الانسانية بصفة عامة ، وفي الحضارة الاسلامية بصفة خاصة ، كما يتضح ذلك فيما يلي من الصفحات .

الأثر الحضاري لليمن

١ — ما قاله المؤرخون القدامى عن بلاد اليمن :

ان سمعة اليمن الحضارية ، التي اهتم بها المؤرخون والاخباريون قد استمدتها من تلك الحقبة الزمنية

التي حكمت فيها الممالك الخمس التي سبق ذكرها . فسميت بلاد اليمن قديماً بأسماء تدل على أنها كانت ذات حضارة يانعة ومزدهرة ، فقد ذكرتها التوراة باسم « العربية الغنية » ، وسماها الرومان : « العربية السعيدة » . وسماها الفراعنة : « البلاد المقدسة » ، وذكرها الاخباريون باسم : « بلاد القصور » كما سماها اليونانيون « الأرض الخضراء » (١٣) .

ويصف استرابو أهل اليمن بقوله : « انهم أغنى العرب . يقتنون الرياش الفاخرة ، ويتمتعون بكل أسباب الرخاء والترف ، ويكثرون من آنية الذهب والفضة . والفرش الثمينة ، ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة » .

ويقول عنهم أغاثرسيدس : « انهم أغنى أهل الأرض . وسبب غناهم تجارتهم بغلات بلاد العرب والهند . . . . ولهم سفن ضخمة تسير في المحيط الهندي ، ومراكب تسير في الأنهر يصلون بها بابل » .

ويقول ارستنيس : « إن بلاد اليمن ، هي بلاد ثروة ورخاء عجيبين . وهي موطن اللبان والبخور والطيوب الأخرى ، وان أهلها يحبون الحرية . ويتمتعون بها كل التمتع » .

ويقول هيرودوتس : « ان بلاد اليمن كلها كانت تفوح بالعطور والطيوب . لأنها كانت البلاد الوحيدة التي تنتج المر واللبان والقرفة واللادن » .

ويعتبر العلامة أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني من طليعة المؤرخين والجغرافيين العرب . الذين نقلوا الينا الكثير عن حياة اليمن قبل الاسلام . وما وصلت اليه قديماً من حضارة ورقي في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة والعمران . وفي كتابيه : « صفة جزيرة العرب والاكليل » الكثير مما شاهده وقرأه من آثار سبأ وحمير على الحصون والقصور والمعابد . وما شاهده من صهاريج المياه والقنوات والأبراج وتماثيل الرخام والبرنز . وجلاميد الصخر المنحوتة نحتاً فنياً مدهشاً ، الى غير ذلك من زخرفة الحيطان . وسقوف الأبنية والمعابد .

هذا طرف مما ذكره المؤرخون والاخباريون عن بلاد اليمن في العصر القديم . والواقع أن هذه البلاد قد وصلت في ذلك العصر الى أوج حضارتها في بداية الألف الأولى قبل الميلاد ولكننا نجهل كثيراً المراحل السابقة التي مرت بها الحضارة اليمنية . قبل وصولها الى تلك الحقبة المتطورة .

والمصادر التي تحدثنا عن الحياة الاقتصادية والتشريعية والادارية . للممالك التي ظهرت في بلاد اليمن قديماً ، انما هي نقوش فقط . وقد احتوت هذه النقوش على قوانين وأنظمة ومعلومات عامة ووثائق تتصل بالاهداء الى الالهة والبناء والعمل . وهناك وثائق أخرى وصلت الينا تتصل بالزراعة وجباية الأموال . وهي تحدثنا حديثاً غير مباشر عن التشريعات والأنظمة التي كانت سائدة في تلك البلاد . ومنها تبين لنا أن الزراعة كانت العمود الفقري للحياتين السياسية والاقتصادية .

ونجد في هذه النقوش أيضاً أخبارا تتصل بالحاجة الى العناية بالمسائل العسكرية . كما نقرأ شيئاً عن اللاهوت ، وأثر الحياة الدينية في الحياة العامة للدولة . وهذه المصادر مهمة جداً وجديرة بالاعتماد عليها لأنها لم تتغير . ولأنها معاصرة للأحداث التي نتكلم عنها . غير أن عباراتها الموجزة تجعل فهمها عسيراً جداً . كذلك يلاحظ أن النقوش العربية الجنوبية تكتفي بذكر الخطوط الرئيسية للأعمال الاجتماعية والاقتصادية والأنظمة السياسية والادارية ولا نجد فيها تفصيلاً لكل هذه الأنظمة .

ومما يلفت النظر أيضاً ، أننا لم نعثر حتى اليوم ، في النقوش الجنوبية إلا على القليل من الاشارات المتصلة بالتعريفة الجمركية ، أو القوانين التجارية ، على رغم كثرة طرق المواصلات في تلك البلاد ، على حين نجد بعض المؤلفين الكلاسيكيين يتركون لنا بعض الأخبار الخاصة بهذا الموضوع .

وبعد ، فاننا نعلم من الخطوط العريضة التي اطلعنا عليها ، والخاصة بممالك اليمن القديمة ، وسائر الدول المتفرعة عنها ، ان الحضارة التي عرفها العرب باليمن ، تعد من أقدم الحضارات العالمية ، وأن بني قحطان من الساميين كانوا من قادة الحياة المتطورة في بداية معرفتنا للتاريخ .

ب ـ نشاط اليمنيين في الزراعة :

ولكي نعطي صورة أوضح عن هذه الحضارة نقول : ان الزراعة كانت عند اليمنى أس الحياة وعصب الازدهار اللذين شهدتهما البلاد طوال خمسمائة وألف سنة ، وأمدت العالم بموجات فكرية رائعة مهدت ـ مع بعض الحضارات القديمة الأخرى ـ لعالم اليوم .

وكانت أرض اليمن محط آمال اليمنيين وعنايتهم ، حتى أن القتبانيين وضعوا منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، قوانين دقيقة لاستغلال الأراضي الزراعية وأحسن المكربون قبلهم التخطيط لاستغلال الأراضي (١٥) ولا أدل على عناية أهل اليمن بالزراعة من ادراك مشرعي البلاد لهذه الحقيقة ، فأفردوا للمزارعين طبقة خاصة ، وذلك عند تقسيمهم لطبقات المجتمع . ونتيجة لانشغالهم بالزراعة فضلوا السلم على الحرب ، وأقاموا السدود والعمران في طول البلاد وعرضها ، وأهم هذه السدود وأكثرها شهرة سد مأرب ، ويسمى بسد العرم أو سيل العرم . وهو أعظم سدود العرب وأشهرها ، وقد كثر ذكره في أخبار العرب وأشعارهم ، واليه أشار القرآن الكريم* ويقول العلامة الدكتور جواد علي واصفاً هذا السد : « ان هذه الأعمال الهندسية التي قام بها أهل اليمن للاستفادة من مياه الأمطار ، هي من أهم المشروعات العالمية ، التي قام بها العالم في ذلك الحين ، انها ثورة في عالم الهندسة والتفكير ، مكّنت الانسان من الاستفادة من الطبيعة » . وقد ظل هذا المشروع العظيم مصدر خير ورفاهية لليمن . ولسنا نجد في التاريخ القديم سوى بلاد قليلة فكرت في مثل هذه المشروعات الحيوية للتحكم في الطبيعة . والاستفادة منها في خدمة الانسان . فقد تمكن أهل اليمن بفضل هذا السد من تحويل منطقة (أذنة) ووادي الخارد الى جنات هي مثل حي يرينا قدرة الانسان على الابداع متى شاء (١٦) .

وناحية أخرى للمزارع اليمني العربي ، تجعلنا ننظر اليه نظرة الاعجاب والاعتزاز . انه استطاع أن يبني في المناطق الممطرة والمدرجات الرفيعة في فن الهندسة المعمارية ، يبنيها من أعلى الجبل الى أسفله ، يبنيها بصبر وتأن ليستثمر كل شبر من أرضه . هذا العربي اليمني بعمله هذا دل على أنه حافظ لقوانين هذه الخدمة الشريفة بالتوارث ، ملماً بالنواحي الميترولوجية هنالك ، بل تعداه الى الغوص في النواحي العلمية الدقيقة للمزروعات فعرف أنواعها ، وما تتطلبه من النسب في التربة والماء ، وكمية الاشعاع الشمسي . أي أنه كان يعرف أنواع المزروعات التي تناسب كل ارتفاع ومناخ . وتراه في المناطق الداخلية ، قد حفر الآبار العديدة الى أعماق كبيرة . ورفع المياه الجوفية المتجمعة ، فحول المناطق التي تكثر بها الآبار الى بساتين غناء بفضل جده ، ومعرفته لأصول الزراعة .

---

*بقوله تبارك وتعالى لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليكم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل تجازى الا الكفور .

جـ ـ المعادن والصناعة بأنواعها :

وكما اشتهرت بلاد اليمن قديماً بالزراعة والري . اشتهرت كذلك بمعادنها وجواهرها . فقد كانت فيها مناجم للذهب والفضة وكان ذلك من أهم أسباب طمع الطامعين فيها في ذلك العهد . وقد ذكر الهمداني . في كتابه « صفة جزيرة العرب » . كما ذكر ياقوت في معجمه الكثير من مناجم الذهب في بلاد اليمن . ولكن الى الآن لم تكشف تلك الثروة المعدنية . وربما كشف عنها في المستقبل القريب .

والمعتقد أن اليمني أتقن صناعة المعادن التي حصل عليها من بلاده . أو التي استوردها من الحبشة والهند وغيرهما . ومن ذا الذي لم يقرأ في الأدب العربي القديم . شعره ونثره وصفاً للمهند اليماني ؟ ومن ذا الذي لم ير الى يومنا هذا يمنيا يتحلى بجنبيته (خنجره) المصقولة ؟ ان ذلك يؤكد أن صناعة الفولاذ المصقولة . هي من تقاليد اليمن العريقة . وأي زائر وصل الآن صعده شمالاً . لم يلفت نظره أمر استخراج الحديد وصهره بالطرق القديمة الموروثة ؟ الواقع أن صناعة الحديد في اليمن . هي الصناعة الوحيدة التي استمرت ولم تندثر مع الأيام .

وقد تحدث أغاثر سيدس واسترابو عن فن التعدين في اليمن فقالا : « ان اليمنيين كانوا يجيدون تشكيل الحديد والفضة والذهب . ويدل على ذلك نقودهم وهداياهم . التي صنعت من هذه المعادن على شكل تماثيل . كذلك أوانيهم المصنوعة من الذهب والفضة » . . . ولقد صنع اليمنيون الأواني المنزلية والأطباق الفضية الجميلة ، والأسرة والموائد . التي أثارت اعجاب استرابو وجعلته يسهب في الكلام عن هذه الأشياء . وكذلك كانوا يصنعون السكاكين ويتقنون صنعها . ويجعلون مقابضها من معدن المسنى . وهو من الصناعات التي تتطلب مهارة وذوقاً فنياً .

أما أعمال الدباغة فكانوا يتقنونها الاتقان التام . وبخاصة جلد الفهود . وكان لمنسوجات اليمن من القطن والصوف شهرة عالمية . وكانت تباع في الأسواق بأسعار مرتفعة لجودة صناعتها .

هذا بالإضافة الى الصناعات التقليدية . التي تقوم على بعض أصناف التجارة كالبخور واللبان والطيوب وغيرها . وكان ذلك مشهوراً عنها بين الأمم القديمة . لا يشاركها فيه أحد . مما أثار حسد بعض الأمم عليها وغيرتهم منها .

د ـ اهتمام اليمنين بالتجارة واثرها :

وكما أن اليمن القديم كان له شأنه الكبير في كل من الزراعة والصناعة كذلك كان اشتغال أهله بالتجارة قد فاق كل وصف . وعلى الرغم من أن العمل في هذا الميدان ليس سهلاً . فان نجاح اليمني في هذا المضمار دل على أنه كان انساناً ذا قدرات ذاتية تكمن في نفسه ، لأن العمل في هذا الميدان على مستوى عالمي . يحتاج الى دراية بعلوم وصفات عدة منها : الادارة ومعرفة اللغات و « الاتكيت » . ومعرفة السلع والأنواع . ومعرفة الطرق والمسافات ومعرفة حاجة البلدان لأنواع السلع التجارية . والصبر والحيلة في الأمور . والحكمة في اختيار الشركات أو المتاجرة الفردية . وكل هذه الصفات التي اتصف بها اليمني في تلك العصور . هي التي مكنته من أن يحتكر التجارة العالمية أكثر من خمسمائة وألف سنة .

ولقد جاء وقت على اليمنيين انغمسوا فيه في ميدان التجارة . حتى أصبحت المورد الرئيسي للبلاد . ولهذا خطره لأن اعتماد الأمة أو الدولة على مورد واحد فيه خطورة على مستقبلها فبعد أن تحولت طرق

التجارة عن بلاد سبأ ومعين الى بلاد حمير الساحلية ، أدى ذلك الى انهيار الدولتين بعد أن أهملتا أمر الزراعة .

وبعد أن انغمس اليمنيون في العمل التجاري . أصبحت بلادهم رأسمالية وطغت عليهم ثروتهم المالية . فبذلوا المال الكثير في سبيل ارضاء شهواتهم . مما جعل كتاب الغرب يتعجبون لما يرون وما يسمعون ، فهيرودوتس – قبل المسيح بنحو أربعمائة سنة يصف بلاد العرب السعيدة بأنها « من أغنى بقاع العالم » .

ولقد افتتن التجار الأجانب بالتجار اليمنيين ، وسعوا الى معاملتهم والارتباط مع حكومات الجنوب بصلات تجارية . يقول العلامة الدكتور جواد علي (١٧) : « لقد شهد التاريخ زيارات على مستوى القمة بقصد التجارة كزيارة ملكة سبأ الى الملك سليمان في أورشليم ، بهدف توثيق العلاقات التجارية للطرفين ، وتسهيل التعامل التجاري ، لا كما ذهب البعض الى أن سبب زيارة الملكة بلقيس الى أورشليم هو مجرد طلب الحكمة » . *

وكان من عوامل اتساع العلاقات التجارية بين اليمن وغيرها من الأمم . ولعهم بالمنسوجات الراقية . ورغبتهم المتزايدة في العطور والطيوب . فسارع اليمنيون الى رفع أسعارها وبخاصة اللبان . وكذلك زادت الحكومات اليمنية المكوس والضرائب التي يتقاضونها على البضائع الأجنبية التي تمر ببلادهم (١٨) .

ولم تقتصر تجارة اليمن على المنتجات المحلية التي أهمها البخور واللبان والطيوب . وبعض الأحجار الكريمة كالعقيق . بل كان ما يحصل عليه تجار اليمن من عملية « الترانسيت » لا يحصى ، حتى بعد أن كشفت البلاد الغربية سر الخطوط التجارية في البحر العربي والمحيط الهندي ، ذلك لأن هذه التجارة كانت تخضع لقوانين علمية اتبعتها الحكومة القتبانية من بينها مبدأ احتكار التجارة والسيطرة عليها ، فجعلت أمر الاستيراد والتصدير في يدها .

ولقد استعان اليمنيون بأصدقائهم الفينيقيين القريبين منهم لغة ، زمناً طويلاً لبيع سلعهم ، وكان العرب يتنافسون مع البابليين للاتجار مع الهند . وظلت علاقاتهم التجارية على أشدها مع الفينيقيين ، حتى عرفوا أسرار تجارة (الترانسيت) وأتقنوها ، ومع هذا بقي اليونانيون والرومانيون يحسبون أن جميع البضائع التي تاجر بها اليمنيون ، كانت من حاصلات بلادهم . فقد كان حرص التجار على الاحتفاظ بأسرار تجارتهم وموارد هم من الحبشة والهند عظيماً . وكذلك كان الاحتكار عندهم مضبوطاً دقيقاً . ومما ساعد على صيانة هذه الأسرار . كون اليمن تقع في حصن طبيعي يقيها طمع الفاتحين ، لأن الصحاري الشاسعة . والأراضي الوعرة المحيطة بها . والممرات الصعبة في الجبال . كل ذلك كان من عوامل حماية اليمن من الطامعين فيها بثروتها الخيالية . وابتكارها للسلع المتعددة .

الأسواق التجارية :

كذلك تجدر الإشارة إلى الأسواق التجارية ، التي كانت تعرض فيها مواد التصدير من المصنوعات والمزروعات ، كانت تقع في أهم المدن اليمنية ، وفي مستعمرات اليمن التي تقع غالباً على الخطوط البرية والبحرية (١٩) ، وكذلك الممالك التي قامت في مختلف أنحاء الجزيرة العربية على أطراف العراق . وعلى الخليج العربي ، وفي نجد ، وفي صحراء سوريا والأردن ، لم تكن في الأصل سوى مستعمرات

* قصة « بلقيس » مع النبي سليمان عليه السلام وردة في صورة النمل . حيث تناولتها – الآيات من ٢٠ – ٤٤ .

عربية يمنية . تطورت الى مستوى الممالك في وقت من الأوقات . وما آثار البتراء – وهي في الأصل احدى مراكز التجارة اليمنية – إلا نموذجاً لما وصلت اليه حضارة اليمن قبل الاسلام . في هذه المراكز المعدة لتوزيع تجارتها في الشمال (٢٠) .

ومن الأسواق المشهورة . التي كانت تمر فيها الطرق التجارية المتجهة الى الشمال ، سوق مدينة صعدة التي كان يقصدها التجار من كل البلاد . وكانت بها مصانع الأدم والجلود والحديد . والسوق التي كانت قائمة في سحول والتي كانت تعرض فيها الثياب السحولية المشهورة . وكذلك سوق مرياط في حضرموت . وهي من أضخم الأسواق . لما كان يعرض فيها من اللبان . وقد أصيبت هذه الأسواق بالكساد والخراب . عندما تحول الطريق من البر الى البحر . وانتعشت على حسابها الأسواق والمدن البحرية . وأصبح التجار الحميريون سادة التجارة آنذاك .

أما بالنسبة للأسواق الخارجية . على طول الخطوط البرية والبحرية ، فكانت أحسن حظاً من أخواتها داخل بلاد اليمن ، فقد صارعت الزمن . وحفظت وجودها . نذكر منها ديدان مثلاً – التي ذكرت مراراً في التوراة – فقد كانت واحة في شمالي الحجاز (٢٢) . وظلت حقبة من الزمن المقر الرئيسي لأهل سبأ في الشمال . ولا تزال موجودة باسم (العلا) .

ويدل على مدى معرفة اليمنيين بفنون التجارة . أنهم كانوا يرسلون سفراء تجاريين ليقيموا في البلدان الأجنبية . كما حدث في مصر مثلاً . إذ وجد نقش على تابوت في الجيزة . مكتوب بالخط العربي الجنوبي . وباللهجة المعينية ومؤرخ سنة (٢٦١) ق.م . ويدل هذا النقش على أن معينياً اسمه (زيد آل زيد) كان يشتغل بالكهانة . في أحد المعابد المصرية . وكان يستورد المر والطيب من بلاد اليمن ، ويصدر اليها – على سفينة كان يملكها – أثوابا جميلة من البز المصري (٢٣) .

آثار التجارة على اليمنيين :

كان لاشتغال اليمنيين بالتجارة عدة قرون . آثار متعددة منها :

١ – ان التجارة هيّأت لليمنيين نوعاً من الانفتاح . بل الاستفادة من خبرات غيرهم في مجالات التشريع والاقتصاد وغيرهما . ويدل على ذلك أن الدولة السبئية بدأت ثيوقراطية . وانتهت علمانية . وحدث ذلك بالضبط لدولة معين (٢٤) . ومعلوم أن الحريات في الجو العلماني تكون أوسع وأكثر بل إن الانتاج والانفتاح يكونان أشمل . وقد خطت معين في ذلك أوسع الخطوات إذ قررت مبدأ اللامركزية في ولاياتها . حتى لا يعمل الروتين على شل الانتفاضة الشعبية والاقتصادية التي شهدتها البلاد آنذاك (٢٥) وكانت سياسة الانفتاح التي شهدتها البلاد في ذلك العصر ، من أروع سمات التعاون بين الدين والاقتصاد القومي المتمثل في التجارة . فاتحدت بعض القبائل في ظل هذا التعاون . الذي يحق لنا أن نسميه تعاوناً ثيوقراطياً دينياً . وقد شمل نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية (٢٦) .

٢ – أما أثر اشتغال اليمنيين بالتجارة في النواحي النفسية . فقد كان بارزاً وعميقاً . ذلك أن اليمنيين كغيرهم من العرب مع حبهم الحرية التي كانت هي الأمر الوحيد الذي اتفق لهم أن يتمتعوا به لم يرضوا بالاهانة ، بل . حاربوا بضراوة كل من حاول استعبادهم أو النيل منهم (٣٧) . لقد عاشوا بنفسيات رائعة متألقة . في ذلك الجو الذي يفوح بعبق الحرية وأريجها ، وفوق ذلك أمدتهم التجارة ، بنوع من

الراحة النفسية ، والجو الشاعري ، إذ اكتسبوا من الأقوام الأخرى فن العمارة والحدائق ، حتى أن بطليموس الجغرافي ذكر أنه في بلاد اليمن مائة وسبعين (٢٨) مدينة . وحدائق كثيرة ، وبيوت لهو منتشرة (٢٩) ، وهذا دون شك له أثر عظيم في نفسية الأهالي بوجه عام . وقد أشار الدكتور فيليب حتى الى ذلك (٣٠) .

٣ ــ وهناك أثر ثالث نجم عن التجارة . وهو الثراء العريض الذي عم البلاد ، وتحدث به الصديق والعدو على السواء . كما ورد ذلك في أقوال الكتاب والمؤرخين . التي سبق ذكرها .

٤ ــ وأثر رابع هو الفنون ، إذ نلاحظ أن بعض الفنون ليست من بلادهم ، ولا من مبتكراتهم ، يقول الدكتور فيليب حتى (٣١) : « اننا لا نعرف زماناً ولا بلاداً عبرت فيه العبقرية السامية عن نفسها في هذا السبيل الفني ، ولكن الاكتساب الفني بفضل الاختلاط . وكثرة الأشعار عن اليمنيين . جعلت هذا الأثر واضحاً في النقوش ، ومنعكساً على الحياة العامة » .

وهذه النقوش التي استخدمها اليمني مليئة بالمعاني والرموز ، بسيطة التفصيل والتنسيق شاعت فيها الأشكال الهندسية شيوعاً مدهشاً . واستعمل اليمني الألوان استعمالاً فطرياً بسيطاً (٣٢) . أما النحت فقد كان راقياً ، ووصل في الصياغة الى مستوى عالمي من الرقي ، كما يظهر ذلك في الأواني الذهبية والفضية الباقية (٣٣) .

ولست هنا بصدد حصر كل الآثار التي تركتها التجارة في اليمنيين ، بل ذكرت ذلك على سبيل المثال لأن تعلمهم اللغات الأجنبية والحسابات والصيرفة وغيرها تدخل تحت هذه الآثار المتعددة .

انتشار اليمنيين خارج بلادهم وآثاره :

نعلم من الخطوط العريضة التي اطلعنا عليها ، والخاصة بممالك اليمن القديمة ، ان الموجات البشرية التي صعدت من الجنوب ، وانتشرت في أنحاء الشمال ــ في شبه جزيرة العرب ــ جاءت من بلاد اليمن ، منبع القحطانيين العرب .

وأصبح من الواضح لدينا اليوم ، أن الممالك المتحضرة ، التي قامت في أنحاء الجزيرة العربية ، على أطراف العراق ، وفي نجد ، وعلى الخليج العربي ، وفي صحراء سوريا ، وفي شرقي الأردن ، لم تكن في الأصل سوى مستعمرات عربية يمنية ، تطورت الى مستوى الممالك في وقت من الأوقات ، وتركت لنا أخبار حضارتها وآثارها الرائعة .

لم يقف انطلاق عرب اليمن القدامى عند هذا الحد ، فبعد أن وصلت (خزاعة) الأنصار الى يثرب ، والغساسنة الى الشام ، والعرب العدنانيون الى الحجاز ، هاجر من عرب خزاعة ومن العدنانيين الكثيرون الى شرقي افريقية ، والى شمالها ، وأحفاد الجميع لا يزالون بها . ونشير فيما يلي الى آثارهم في كل مكان نزحوا اليه :

اولاً : آثارهم في الشاطيء الشرقي لافريقية والحبشة :

يكون عرب اليمن جاليات كبيرة في دول الشاطىء الشرقي من افريقية ، بما في ذلك أريتريا والصومال والزنجبار ، وقد توغلوا في داخل أفريقية حتى وصلوا الى غربها . يقول بعض المؤرخين وعلى رأسهـــم

(جلازر) في كتابه « الأحباش » : « ان أصل الأحباش من جنوب الجزيرة العربية هاجروا الى العدوة الافريقية لأسباب كثيرة (٣٤) .

والواقع أن الكوشيين – وهم القبائل الرعوية الحامية . التي تكون العنصر الغالب من سكان شمالي الحبشة قد تعرضوا الى تغير ثقافي سببه هجرة القبائل السامية اليهم منذ القرن العاشر قبل الميلاد تقريباً . والقبيلة السامية ذات الأثر البارز في تاريخ الحبشة هي قبيلة (حبشت) التي سميت البلاد باسمها . ثم قبيلة (الجعز) ، التي سادت لغتها . وغدت اللغة الأدبية للمسيحية فيما بعد . لذلك يمكن أن نقول : « أن هجرة الساميين لم تكن هجرة لقبائل بدوية . وانما لجماعة من الزراع المتحضرين الذين ألفوا الاستقرار . وكانت لهم نظمهم الاجتماعية وعناصر حضارتهم العريقة .

ولقد أدخل العرب في تلك المناطق الحضارة السبائية المعتمدة على الوسائل الصناعية كوسائل الرى المتقدمة في عمل الخزانات والسدود ، وشق القنوات . وزراعة سفوح الجبال – التي كانوا يتقنونها . كما أدخلوا استعمال المعادن . وبعض النباتات الجديدة . واستخدموا الأحجار في البناء ، هذا بجانب ادخال نوع من التنظيم الاداري والاقليمي . وفن الكتابة . ومن ثم أصبحت المناطق التي استقروا فيها . مراكز لنشر الحضارة .

ولقد عثر على أثر قديم لهذا العنصر السامي في مدينة تسمى « آرا » وهو بعض أحجار لمعبد إله الشمس . وعليها كتابات حميرية . ترجع الى القرنين السابع والخامس قبل الميلاد (٣٥) .

وعلى رغم أن المهاجرين السبئيين . هاجروا الى الحبشة ومعهم نساؤهم فانهم لم يلبثوا أن اختلطوا بالقبائل الحامية وصاهروها . وكان من نتيجة هذا الامتزاج . نشأة مملكة أكسوم حيث برز بيت من البيوت الاقطاعية الوثنية وتولى الزعامة . وأسس هذه المملكة التي يرجح أنها قامت في القرن السابع قبل الميلاد في الجبال . ثم امتد سلطانها في الوديان . وتعتبر مملكة أكسوم المملكة الحبشية الأولى التي استطاعت أن تكون حضارة وطنية . متأثرة بالحضارة السبئية السامية و بالحضارات الأخرى كالحضارة المصرية القديمة . وحضارة البجة وغيرهما . غير أن أبرز عنصر في حضارة أكسوم . هو العنصر السبئي الذي اشتقت منه أصلاً (٣٦) .

والمعروف أيضاً أن هؤلاء اليمنيين . عبروا باب المندب الى وادي النيل (٣٧) ثم الى مصر في العصور الأولى ، وأثبت بعض العلماء أن اللغة الفرعونية ، تدين للسامية بكثير من ألفاظها . وهناك معجم ألفه العالم المصري الدكتور أحمد كمال . به مئات من الكلمات المشتركة بين العربية والكتابة الفرعونية الديموطيقية .

ثانياً : آثارهم في الاسلام والدولة الاسلامية :

هذا ونعتقد أنه من العناصر التي سخرها الله سبحانه وتعالى لسرعة انتشار الدين الاسلامى الحنيف دخول أهل اليمن في الاسلام دون تردد ، ذلك لان الديانات الوثنية في اليمن كانت الى حد كبير موحدة . اذ كان أصحابها من أتباع (ذي سموت) أي إله السماء يعبدون ثالوثا سماوياً هو : « الشمس والقمر والزهراء » أى أن عبادتهم عبادة نجوم (٣٨) .

والتفسير العنصري لسرعة اعتناق أهل اليمن للاسلام . قد يكون أقوى من ميلهم للتوحيد وهو أن اليمن في القرن السادس الميلادي ، كان موزعاً من الناحية الدينية بين الزرادشتية الفارسية ، واليهودية الدخيلة ، والنصرانية المفروضة فجاء الاسلام عربياً . وكان من أهم من اعتنقوه ونصروه اليمنيون في المدينة (يثرب) من الاوس والخزرج . فهم الذين آووا النبي صلى الله عليه وسلم ونصروه في حروبه وغزواته ، حتى ثبت دين الله في الأرض .

وهكذا انضمت الى الاسلام طاقة اليمن الضخمة في مجال الفكر والنشاط وسعة الاطلاع والفتوحات . اذ كان اليمني في عهد دولة حمير قد تحول الى محارب وفاتح ، كثير المغامرات العسكرية والفتوحات والاستيطان في البلاد البعيدة .

وحينما دعا أبوبكر رضي الله عنه الى الجهاد ، وصل الى المدينة في يوم واحد من اليمنيين عشرون ألف مقاتل ، ومعهم سلاحهم وذخيرتهم ، ومؤنتهم فبعث بهم أبوبكر الى العراق والشام ، وبعد ذلك شاركوا في فتح مصر وافريقية والاندلس ، فكأنهم أرادوا أن يعوضوا تخلفهم عن الزعامة السياسية بأمجاد جديدة يتوجون بها هاماتهم .

ولما كانت ثورة الأمصار الاسلامية على الخليفة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ . جاء في الوفد المصري – الذي اتجه الى المدينة – من اليمنيين : عبد الرحمن بن عديس العلوي ، وكنانة بن بشير التجيبي ، وسودان بن أبي رومان الاصبحي ، ودرع بن يشكربن أبرهة . ويقول الكندي (٣٩) : « ان هؤلاء هم الذين قتلوا عثمان وبايعوا عليا وعادوا الى مصر » .

وعلى الرغم من أن اليمنيين – كما يبدو لم يكن لهم شأن ايجابي في هذه الفتنة . الا أن الحقيقة الملموسة توحي ، بأن اليمنيين كان لهم القسط الأكبر فيها ، فان العلاقة بين ابن سبأ الصنعاني (٤٠) وبين من أجابوا دعوته في الامصار المختلفة – وبخاصة في مصر – تدل دلالة واضحة على أن اليمنيين كان لهم اليد الفعالة ، في قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه مدفوعين بحبهم وولائهم لعلي رضي الله عنه – وآل بيته (٤١) .

ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية بن أبي سفيان . جاهدت همدان مع علي في صفين . ويعتبر ما قاله أمير المؤمنين نفسه دليلا على ذلك فقد قال أيام صفين : « يا معشر همدان أنتم درعي ورمحي ، والله لوكنت بواباً على باب الجنة لادخلتكم قبل جميع الناس ما نصرتم الا الله تعالى ، وما أحببتم غيره » فقال سعيد بن قيس ، وزياد بن كعب : «أحببنا الله واياك ونصرنا الله واياك ، وقاتلنا معك من ليس مثلك ؛ فارم بنا حيث شئت » (٤٢).

ويعتبر مالك بن الاشتر النخعي (٤٣) اليمني . من الأمثلة البارزة التي أسهم في حروب علي بن أبي طالب . وقد أبلى بلاء حسنا معه في موقعتي الجمل وصفين . ويدل موقفه من التحكيم على مقدار اخلاصه وتفانيه في الحصول على النصر . ويمكن الرجوع إلى ما قاله عند ما رفع جند معاوية المصاحف ووافق جند العراق على التحكيم (٤٤).

ولقد كان البراء بن وفيد العذرى الهمداني (٤٥) من الأمثلة الواضحة التي تدل على حب اليمنيين لاظهار كلمة الحق . واغاثة المظلومين والضعفاء ، فقد حارب البراء هذا مع معاوية بن ابي سفيان في موقعة صفين سنة ٣٧هـ ، مما يدل على أن بعض اليمنيين قد انضم الى معاوية . كما انضم بعضهم الاخر

الى علي رضي الله عنه ولكن البراء قد نقم على معاوية منعه ماء الفرات على أصحاب علي لما سبق عليه صفين فقام البراء قائلا لمعاوية : « سبحان الله العظيم . حين سبقتموهم الى الفرات . تمنعونهم . وان فيهم العبد والاجير والأمة . ومن لا ذنب له . هذا والله أول الجور . لقد بصرت المرتاب . وشجعت الجبان . وحملت من لم يرد قتالك على كتفيك » .

فقال معاوية لعمرو بن العاص : «أكفني صديقك الهمداني حتى لا يفسد على عسكري فقام عمرو فأغلظ القول الى البراء . فأنشد البراء قصيدة جاء فيها :

فلست بتابع دين ابن هند ... طوال الدهر ما أرسى حراء
وقد ذهب العتاب فلا عتاب ... وقد ذهب الولاء فلا ولاء
وقولي في حوادث كل أمر ... على عمرو وصاحبه العفاء
ألا لله درك يا ابن هند ... لقد ذهب الحياء فلا حياء

وخرج بعد ذلك البراء من صفوف جند معاوية . واتجه إلى علي رضي الله عنه حيث حارب معه حتى قتل (٤٧) .

ويذكر المؤرخون ان الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١ – ٦٠) مؤسس الدولة – رفع عرشه في الشام على أكتاف اليمنيين (٤٨) .

واستمرت مساندة اليمنيين لأولى امبرطوريات الاسلام في العهد الاموي . حتى يمكن أن يقال إن بناء هذه الامبراطورية الاسلامية كان بسواعد اليمنيين . وبالتالي كان لهم فضل نشر دعوة الاسلام في كثير من بلاد العالم وبخاصة ان عدداً كبيرا من هذه القبائل اليمنية بالاضافة الى القبائل القيسية . قد استقر في البلاد التي دخلت تحت لواء الاسلام . فاستقر مهاجرون من كنده في بلاد الشام . ودخل السكاكك هذه البلاد زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ونزلوا في الاردن . كما هاجر بعضهم من كندة الى برقة حيث أقاموا فيها . وارتفع شأن كندة في العصر الأموي وكان لابنائها الصدارة في كل بلد انتقلوا اليه . حتى لقد صاح الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥هـ) قائلا : « يالكندة » عندما لاحظ أن سادة فلسطين وحمص والجزيرة ومصر كلهم من أشراف كندة .

ولكن العصبية القبيلة . ما لبثت أن عصفت بالدولة الأموية في القلب وفي الولايات ، ولم يقتصر الأمر على العمال ورجال الدولة . بل تعداه الى عامة الناس . لأن الجاليات العربية التي كانت قد هاجرت الى الولايات واستقرت فيها لم تخرج عن أن تكون قيسية مضرية أو كلبية يمنية . فاذا كان العامل قيسياً حابي القيسية . واضطهد الكلبية اليمنية . وقامت بينه وبينهم الحروب . واذا كان كلبياً عصف بالقيسية وأنزل بهم من البلاء شيئاً كثيراً . ومن هنا قامت الحروب بين العرب في الولايات . وتخضبت أراضي الدولة الاسلامية – من خراسان الى أقصى الأندلس – بدماء العرب . وشغلتهم هذه الحروب في كل ناحية عما هو أهم وأولى بالعناية من الأمور .

ثالثاً : آثارهم في الأندلس :

لم يشق بلد من بلاد المسلمين بهذه الخصومات . كما شقي بها المغرب والأندلس . لالأنها كانت فيها أقسى وأعنف ، بل لأن المغرب والأندلس كانا الى ذلك الحين الثغر الكبير لبلاد المسلمين عامة ،

وكان لا بد لمن يقوم فيها من العرب ، أن يكونوا كتلة واحدة يقظة . والا نهض لهم العدو — الذي لم يقض عليه القضاء المبرم — واستعاد قوته وتحفز لقتالهم وهم في شغل عنه . وهذا هو الذي حدث بالفعل. فقد شغل العرب بتصفية ثاراتهم القبلية ، عن بقايا القوط في الأندلس . وعن إتمام اخضاع البربر في أفريقية . فأصاب هؤلاء وأولئك فرصة كانوا في أشد الشوق اليها ، واستطاعوا أن يستعيدوا ثباتهم . وان يثبتوا أقدامهم في نواحيهم النائية . ثم يتقدموا على مهل منتهزين فرصة انشغال العرب — قيسية وكلبية — عنهم .

وليس من شك في أن هذه المنازعات العصبية وحدها هي السبب في نهضة فلول القوط . وتقدمهم لمنازعة العرب هذه المنازعة الطويلة التي انتهت بخروج المسلمين من البلاد جملة بعد أن ظلت تحت راية الاسلام ، ثمانية قرون . ولا شك أيضاً انها هي السبب في ثورة بربر المغرب جميعه على العرب لأنها جاءت في وقت حرج . كان المسلمون أحق فيه أن يبذلوا قصارى جهدهم في اتمام فتح البلدين . فعاقتهم عن ذلك . واضطرب الأمر عليهم فيهما جميعاً (٤٩) .

وكانت الأندلس تابعة لافريقية في ذلك الحين . فلا غرابة أن تدوي فيها أصداء ذلك كله . ولا غرابة أن يكون لها جميعاً أسوأ الأثر على مصائر الاسلام فيها . فقد أقام يزيد بن أبي مسلم الذي حكم بين١٠٢ ، ١٠٣هـ . وبشر بن صفوان الذي حكم بين ١٠٣ ، ١٠٩هـ الكلبيان اليمنيان اللذان كانا واليين على المغرب في عهد يزيد بن عبد الملك الذي حكم فيبين ١٠١ و ١٠٥هـ وعهد هشام بن عبد الملك الذي حكم بين ١٠٥ و ١٢٥هـ أقاما على الأندلس عمالاً يمنيين هم : عتبة بن سحيم الكلبي ، وعذره ابن عبد الله الفهري ، ويحيى بن سلامة العاملي . وقد حكم ثلاثتهم سبع سنوات من ١٠٣ — ١١٠هـ تعصبوا خلالها لليمنية ، حتى امتلأت قلوب القيسية بالأندلس ألماً . ومهد ذلك لقيام الثورة في الأندلس .

ونتيجة لهذا الصراع المرير بين القيسية واليمنية في الأندلس ، ظهرت بعض الشخصيات اليمنية في تاريخ الاندلس أمثال : السمح بن مالك الخولاني (٥٠) ، فاتح قرطبة ومؤسس الامارة فيها سنة ٩٨هـ . وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (٥١) . بطل الفتح الاسلامي في الأندلس الذي استشهد في موقعة بلاط الشهداء في رمضان سنة ١١٤هـ ، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري . الذي استولى على القيروان سنة ١٢٧هـ . حيث تغلب على افريقية ، وظلت أسرة الفهريين تحكم هذه البلاد حتى سنة ١٤٠هـ .

هذا بالاضافة الى ما قام به اليمنيون في ارساء قواعد دولة عبد الرحمن الأول الأموي ، الملقب بعبد الرحمن الداخل (٥٣) . فقد كانت أول راية تنشر له ، هي عمامة زعيم اليمنيين الخضراء في أشبيلية . أبو الصباح يحيى اليحصبي (٥٤) ، حينما أراد عبد الرحمن فتح قرطبة سنة ١٣٨هـ . ولم يكن لجيشه حينذاك راية .

ولم يقل شأن اليمنيين في البلاد التي فتحوها برجاحة الفكر وحسن الادارة عن نشاطهم العسكري ، ومقدرتهم على التنظيم . إذ نلاحظ على سبيل المثال أن العرب الذين استقروا في البلاد الزراعية في المغرب والأندلس . كان معظمهم من اليمنيين ، يقول المقري (٥٥) : « وهم (أي اليمنية) الأكثر في الأندلس . والملك فيهم أرسخ » ويقول نقلاً عن أبن غالب : « ومن الأزد من ينتسب الى الأنصار على العموم . وهم الجم الغفير في الأندلس » .

واذا نحن أمعنا النظر فيما بين أيدينا من معلومات عن منازل العرب وأحوالهم في الأندلس لاحظنا على القبائل اليمنية بصفة خاصة الأمور الآتية :

١ ــ ان هناك نواحي معينة في الأندلس حببت الى العرب سكناها فتكاثروا فيها ، ونستطيع أن نعتبر هذه المواقع مراكز العروبة في الأندلس . فقد تكاثروا فيها وانتشروا منها الى غيرها من النواحي ، وظل العنصر العربي غالباً على هذه النواحي ، حتى نهاية تاريخ المسلمين في الأندلس . وكانت الى نهاية القرن الخامس الهجري نقط ارتكاز للاسلام في الأندلس . ومن هذه المواضع قرطبة ، وقد نزلها العرب من كل قبيلة ، وكذلك اشبيلية ونواحيها ، ورية ، وقبرة ، والجزيرة الخضراء ، والبيرة ، وجيان ، ومالقة ، وتدمير ، وسرقسطة ، وشذونة ، وباجة . . . الخ .

٢ ــ ويبدو أن الكثير من القبائل التي نزلت مواضع الريف ــ بعيدة عن المدن ــ اتخذت لنفسها حصوناً تعتصم بها ، وتحولت هذه الحصون والقلاع في أثناء الفتح ــ الى مدن ظلت تحمل أسماء أصحابها منها : قلعة يحصب في اقليم غرناطة . وقلعة همدان بالقرب من غرناطة . وقلعة خولان بين الجزيرة الخضراء وأشبيلية ، ودار بلي شمالي قرطبة ، وكلها قبائل يمنية . ما برحت موجودة في اليمن حتى الآن .

٣ ــ المواضع التي سكنها اليمنيون القحطانيون في الأندلس ، يمكن أن نقسمها الى ثلاثة أنواع :

١ ــ مواضع لم يسكنها إلا اليمنيون وهي :

(١)	قلعة رباح	سكنها الخزرج وجذام .
(٢)	دلايــة :	سكنها عذرة وقضاعة .
(٣)	قرية صالحةقرب مالقة :	سكنها غسان .
(٤)	قلعة خولان :	سكنتهاخولان .
(٥)	برشلونة :	« تجيب .
(٦)	داربلي :	« بــلي .

ب ــ مواضع أغلب من نزلها يمنيون وهي :

(١)	سرقسطة ونواحيها :	سكنهـا الخزرج وعذرة وقضاعة وتجيب وجــذام .
(١)	تدمــير :	« جذام ودوس وغافق وحضارمة .
(٣)	ريــه :	« جزيلة والخزرج وذورعين .
(٤)	مالقــة :	« حضارمة .
(٥)	شــذونة :	« جزيلة وعرمرم وجذام .
(٦)	استجه وموروز :	« لخم وخثعم .
(٧)	الجزيرة الخضراء :	« خولان وعذرة ولخم جذام .

جـ ــ مواقع سكنتها مجموعات متساوية من قحطان وعدنان وهي :

(١)	أشبيلية ونواحيها :	سكنها من اليمنيين : هوازن وجذام والأشعر وبلي ولخم (٥٦) .

(٢) البيرة وغرناطة : سكنها طي و همدان و غسان والحضارمة،
(٣) بطليوس : سكنها الحضارمة (٥٨) .

٤ – كان العرب يدخلون الأندلس رجالاً فقط . ثم يتخذون النساء من أهل البلاد . وعلى هذا فالأجيال التالية – من هؤلاء العرب جميعاً – لا يمكن أن يكونوا عربا من ناحية الدم . بل ربما جاز اعتبارهم من المولدين ولذا كانوا عرباً بالاحساس والاتجاه واللغة الى حد كبير (٥٩) . وكان لهذه المصاهرة – بين العرب وأهل البلاد ، والمعايشة بينهم أثرها الفعال في نشر الاسلام والعربية بين أهل الجزيرة (٦٠) .

رابعاً : آثاوهم في المغرب :

لاحظنا من دراستنا ، أن ثمة تشابهاً كبيراً بين الألحان في أغاني أهل اليمن . وبين الموسيقى البربرية في بلاد المغرب . فالخصائص الموجودة في موسيقى اليمنيين . توجد أيضاً في الموسيقى البربرية . ولكن العامل الحاسم الذي يثبت وجود علاقة بين موسيقى الفريقين نراه في الطريقة التي تنشد بها الأغاني . وهو عامل يزداد قوة بفضل فردية اللحن في الموسيقى . والتشابه في الألحان كلها . وهو تشابه بارز كل البروز دائماً .

ونحن الى الآن لم نعرف بالضبط الجنس الذي ينتمي اليه البربر في المغرب (٦١) ولكننا نعرف أن قبائل البربر تعيش منذ عهد بعيد في بلاد المغرب . ولا سيما في المناطق الجبلية في أعالي أطلس . وللبربر لغتهم الخاصة بهم ، وقد اختلطت هذه اللغة عبر القرون والأجيال باللغة العربية بفضل الهجرات العربية المتكررة ، ولكن هناك – حتى الآن – لغة بربرية أصيلة يتحدث بها أهل الجنوب المنعزل في بلاد المغرب .

وليست الموسيقى هي الدليل الوحيد على وجود علاقة بين قبائل البربر وأهل اليمن . فمن الحقائق البارزة أن هناك أبنية مرتفعة . تشبه تلك التي تقوم في الجنوب اليمني . موجودة في قلب الحضارة البربرية ، وأعالي أطلس . وتحمل المظاهر المعمارية نفسها كالنقوش والأنابيب الخشبية لنقل مياه الأمطار ، والكوات وغير ذلك ..

وقد أثار هذا التشابه الكامل بين موسيقى الشعبين . وفنهم المعماري . عدداً من الأسئلة حول ما اذا كانت موسيقى بربر شمالي افريقية وأهل اليمن ذات علاقة بموسيقى شعوب أخرى . وقد أثبت الأستاذ فون هورت بوستل (١٩٣٥م) – من علماء الموسيقى (٦٢) ، وجود تشابه بين هذه الموسيقى والموسيقى المغولية . فدرجات الألحان الخمس الموجودة بعامة في شرقي آسيا تشبه الى حد ما ، الألحان البربرية . وكذلك الخصائص المتعلقة بنشيد (الزامل) (٦٣) . وقد أشار اليها بوستل في كتابه : « الموسيقى المغولية » . وعدها من خصائص المغول . وشرح بوستل على الصعيد التاريخي الحضاري انتماء البربر واليمنيين الى أصل واحد ينتسب الى آسيا الشرقية بقوله : « انتقلت الحضارة الموسيقية . ونفس التعابير الموسيقية – في عصور ما قبل التاريخ – من أواسط آسيا الى الشرق بواسطة المغول . والى الغرب بواسطة شعوب أخرى نطلق عليها الآن اسم « البربر والعرب الجنوبيين » وذلك الى الأماكن التي يعيشون فيها الآن » .

واذا كانت هذه النظرية مقبولة ، أو اذا أصبحت مقبولة حين تتأكد ملاحظات أخرى في حقول غير الموسيقى وفن العمارة بوجه خاص فان ذلك سوف يعني أن اليمنيين والبربر من أصل واحد جاء من وسط آسيا وشرقها .

وهذا الرأي يتعارض مع النظرية التي تقول : ان البربر يرجعون الى أصل سامي ، نتيجة النزوح بعد انفجار سد مأرب في اليمن . والحجة في ذلك أن البربري القديم يميل لونه الى السمرة بشيء من الصفرة ، وأنه بارز الجبهة ، محدب الأنف ، جاحظ العينين ، مدبب الذقن ، وهذه كلها صفات سامية . هذا بالاضافة الى وجود حروف في اللغة البربرية ، قلما توجد إلا في اللغات السامية مثل الحـــاء والضاد والغـــين .

ومهما يكن من أمر فان الأثر اليمني ملحوظ في الشمال الافريقي في أكثر من مظهر من مظاهر الحضارة .

خامساً : آثارهم في مصر :

كان معظم جيش الفتح الذي اعتمد عليه عمرو بن العاص في فتح مصر من اليمنيين ، فقد كان فيه جند من عك وغافق (٦٤) ، ثم لحقت بهم جماعة من لخم وراشدة وكندة (٦٥) ، وان الذي يرجع اليه الفضل في اقتحام حصن الفرما بعد حصار دام شهرا هو سميفع بن وعله السبائي (٦٦) كذلك ابلى اليمنيون بلاء حسناً في حصار حصن بابليون (٦٧) ، ويظهر أن أبناء كندة كان لهم نصيب كبير في الاستيلاء على هذا الحصن ، الامر الذي دعا شاعرها الى ان يفخر بذلك قائلا :

وبابليـــون قـــــد سعـدنا بفتحهـا وحـزنـــا بعـــــون الله فيئـا ومغنما

وبعد انتهاء معارك الفتح استقر التجيبيون في مصر ، وان كان بعضهم قد استقر في جبل برقة ، مع غيرهم من بطون اليمن ، ورحل بعضهم الى طرابلس .

ولم ينقطع وصول اليمنيين الى مصر ، بل ظلوا يصلون اليها فترة طويلة ، ففي خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤١ – ٦٠هـ) كان منهم بالاسكندرية نحو سبعة وعشرين ألفاً معظمهم من الأزد ثم جاء بعدهم جماعة من لخم (٦٨) الذين كان منهم المناذرة بالحيرة ، وبنو عباد ملوك أشبيلية بالأندلس .

ولقد ارتفع شأن الكثير من أبناء اليمن في مصر ، ، ففي العصر الأموي مثلاً ارتفع شأن كندة ، وكان لأبنائها الصدارة في الشام – كما ذكرنا – أما في مصر فقد حفل تاريخها بعدد كبير من كندة من رجال الدولة والحرب ، وتركت كندة أثراً كبيراً في مختلف نواحي الحياة المصرية ، وظلوا في مصر يحافظون على تقاليدهم الارستقراطية العربية ، فكان منهم : حجر بن عدي رسول محمد بن أبي بكر – أمير مصر سنة ٣٧هـ – الى الثوار من أنصار الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، الذين اعتصموا بخربتا*. وبرز منهم في العصر الأموي الحديجيون – نسبة الى معاوية بن حديج ، وكانت أسرتهم من أهم الأسر في المجتمع المصري – طوال العصر الأموي ، فقد ظهر بعد عميدهم معاوية بن حديج ، ابنه عبد الرحمن (ت ٩٥هـ) وكان من كبار رجال الدولة ، وولي عبد الواحد بن عبد الرحمن قضاء مصر ، وكان من أندر القضاة الذين عرفهم التاريخ * .

* الكندي : الولاة ص ٢٨ .

* خربتا : قرية من قرى محافظة البحيرة في مصر

وليس معنى ذلك أن كل اليمنيين في مصر آثروا سياسة الموالاة للأمويين . ذلك لأن فريقاً آخر منهم ، اختار خط الثورة على الأمويين . فاشتركوا في ثورة الاسكندرية على قرة بن شريك سنة ٩١هـ ، واستمر نشاط اليمنيين في الأحداث السياسية في مصر في العصر العباسي الأول . فواصلوا تولي المناصب الكبرى في كفاية واخلاص إذ تولى إمرة مصر عبد الله بن عبد الرحمن الحديجي (١٥٢ — ١٥٥هـ) وأخمد الحركة العلوية التي تزعمها خالد بن سعيد الصوفي في الفسطاط سنة ١٤٥هـ . *

وكان لانتشار القبائل العربية في أنحاء البلاد المصرية — منذ زمن بعيد . واستقرارهم في هذه البلاد قروناً طويلة ، أثر كبير في حركة التعريب وصبغ المنطقة بالعروبة والاسلام . والى الآن نجد في مصر هذه القبائل بأسمائها القديمة ، على الرغم من تقادم الزمن على تركها مقر اقامتها الأصلي ، فنجد على سبيل المثال . بني جهم في المنيا وأسيوط . وبني طي ومنهم الخزاعلة وغيرهم . وقد سكنوا أولاً في منطقة غزة . ثم انتقلوا الى محافظة البحيرة . غربي دلتا النيل . ثم انتشروا في محافظتي الغربية والفيوم ، أما قضاعة ومنها جهينة وبلي . وهم فرسان الرسول صلى الله عليه وسلم . فقد جاءوا الى مصر بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستقروا في محافظات الشرقية والقليوبية وسوهاج بصعيد مصر .

ولم يقم اليمنيون بدور بارز في أحداث مصر السياسية فحسب . بل تكشف كتب التراجم والطبقات عن دورهم العظيم في تاريخ الحياة الفكرية في البلاد ، فكان منهم الكثيرون من أعلام مدرسة الفسطاط المصرية ، وكان منهم كثيرون من الصحابة والتابعين والقضاة والفقهاء والرواد والشعراء الذين شارك في الحياة الفنية ثلاثة منهم : هم أبو قبان . وسعيد بن شريح . وأبو شبيب . ومن تجيب (بطن من كندة) نستطيع أن نتتبع مساهمة رجالها في مصر في علوم الدين من مستهل القرن الأول الهجري حتى أواخر القرن الثالث . فقد ظهر منهم سعيد بن عتر ، قاضي مصر سنة ٧٥هـ . وعمار بن سعد التابعي سنة ١٠٥ هـ . وحرملة بن عمار المحدث (٨٠ — ١٦٠هـ) وحبيب بن الشهيد (ت ١٠٩ هـ) وهم من أئمة مصر المجتهدين . وحرملة بن يحيى . الفقيه الكبير صاحب الشافعي (١٦٦ — ٤٤٣هـ) . ومحمدبن مسروق (١٧٧ — ٨٤) هـ، وأحمد بن يحيى بن وزير (١٧١ — ٢٢٠هـ) وهم من فقهاء مصر وعلمائها الكبار ويحيى بن السائب الذي روى عن الامام مالك . وآخرون كثيرون في المجال العلمي الديني . وقد ذكرهم الكندي في كتابه القضاة (صفحة ٣٨٨) .

وفي مصر خلال القرون الثلاثة الاولى . تطالعنا اسماء الكثيرين من الصحابة والتابعين والأمراء . والموظفين الكبار . والقضاة والفقهاء والرواد . والقواد والثوار . وشواهد القبور تشير الى اليمنيين في مصر في القرنين الثالث والرابع . الأمر الذي يدل على أنهم أفلحوا في الاحتفاظ بوزنهم في المجتمع المصري حتى ذلك الحين .

ولست هنا في صدد حصر القبائل العربية اليمنية التي استقرت في مصر والتي انتشرت منها الى بلاد المغرب أو الى السودان ، ويكفي ان نقول ان عالمنا العربي اليوم — من حيث دخول سكانه في عقيدة الاسلام ومن حيث تعريبه — يرجع في أغلبه الى اليمنيين . والباحث المدقق يمكن أن يلمس بسهولة . الرسالة الجبارة التي قام بها العنصر القحطاني اليمني . في بناء كيان الدولة العربية على أسس قوية متينة من العلم والمعرفة .

---

* نفسه ص ١١٦

سادساً : آثارهم في تاريخ الحضارة الاسلامية :

ولقد ظهر كثير من رجال اليمن في تاريخ الحضارة الاسلامية في جميع ميادينها المتعددة وفي العصور التاريخية المختلفة . وبعضهم له شهرة عالمية عند أهل الشرق والغرب اليوم . ومن هؤلاء القاضي عمر بن شرحبيل الشعبي ، ومسروق الهمداني . وأبو اسحاق الشعبي الهمداني ، ومالك الأشتر النخعي وآخرون .

ونبغ بعد ذلك من أبناء اليمن عدد من الرجال منهم : مالك بن أنس الاصبحي امام السنة (٦٩) والقاضي عياض اليحصبي (٧٠) ، ومن الأمراء البارزين : عبد الرحمن الغافقي ، ومنصور بن عامر المعافري (٧١) ، مؤسس الدولة العامرية في الاندلس ، والمهلب بن ابي صفرة الازدى (٧٢) ، وعبد الرحمن بن محمد الاشعث الكندي (٧٣) ، وعمير بن مصعب الازدي (٧٤) الملقب بالملجم وابو الحسن عبد الله ابن مالك الخزرجي الانصاري (٧٥) وأبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي المعروف بابن أبـــي أصيبعة (٧٦) .

كذلك نبغ من أبناء اليمن جماعة من العلماء التابعين منهم وهب بن منبة الأبناوي (٧٧) ، ومحمد بن السائب الكلبي (٧٨) ، وأبو مخنف الأزدي (٧٩) من رواد المغازي والأنساب . والقاضي اسحاق البري وهو الذي قصده الامام الشافعي للأخذ منه وقال : « لا بد من صنعا وان طال السفر » . وعبد الرزاق بن همام الصنعاني – صاحب المسند – وكان ممن وصل اليه الامام أحمد بن حنبل . ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (ت : ٢١٦هـ) ، (٨٠) أعظم علماء العربية على الاطلاق . ومنهم الكندي(٨١) فيلسوف العرب المشهور ، والحسن بن أحمد الهمداني (ت : ٣٣٤هـ) (٨٢) ، ونشوان الحميري (٨٣) (ت : ٤٧٣هـ) صاحب الموسوعة الضخمة في اللغة والأدب ، وابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) صاحب التاريخ والمقدمة ومبتدع علمي الاجتماع وفلسفة التاريخ (٨٤) .

ومن المتأخرين من نوابغ اليمنيين : السيد محمد مرتضي الزبيدي (ت : ١٢٠٦هـ) صاحب تاج العروس . أكبر معاجم اللغة ، وأعظمها شأناً (٨٥) . هذا وقد أنجبت اليمن من شعراء العربية : امرئ القيس الكندي (٨٦) ، والمتنبي الجعفي (٨٧) ، وأبي العلاء المعري التنوخي (٨٨) .

وفي عصرنا هذا ينسب الى اليمن أساتذة أجلاء نالوا حظاً كبيراً من الثقافة العربية والغربية في شتى نواحيها ، وهم الحجة الناطقة بأن هذا الشعب اليمني لا يزال محتفظاً بكثير من الصفات الممتازة القوية ، التي ميزت نابغيه في الماضي ، بالذكاء وسعة العقل ، والميل الى الابتكار والاستقصاء في كل ما يتناولونه من عمل مادي أو فكري . وفي الشرق القريب والبعيد جاليات من اليمنيين والحضارمة ، ركبوا البحار وتحملوا الأسفار والأخطار . ونجحوا في ميادين المال والاقتصاد نجاحاً يشيد بحظوظهم القوية من الذكاء والشجاعة والثقة بالنفس ، في كثير من بقاع الأرض .

تعليقات وملاحظـــات

(١) « الاسلام والممالك الاسلامية بالحبشة في العصور الوسطى » للدكتور ابراهيم علي طرخان مقال مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية – العدد الثامن سنة ١٩٥٩ .

(٢) من هذه البعثات : بعثة العالم الدانمركي كارستن نيبور (١٧٦١ – ١٧٦٧) . وبعثة العالم الألماني سيتزن عام ١٨٦٠ . وبعثة الصيدلي الفرنسي أرنود سنة ١٨٤٨ . وبعثة المستشرق الفرنسي هاليفي سنة ١٨٧٠ . ورحلات العلامة النمساوي ادوارد جلازر سنة (١٨٨٣ – ١٨٩٢) . راجع المقدمة التاريخية لكتاب تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي للدكتور حسن سليمان محمود (بغداد سنة ١٩٦٨) وراجع كذلك : تاريخ اليمن القديم لزيد بن علي عنـــان – « J. B. philby: The Background of Islam p. 141, جورجي زيدان ص ١١٧ . هومل المترجم) ص ٦٣ – « Strabo, Xv1, 78, الويس موسل : شمال الحجاز ص ٢ – ص ١٠ . جواد علي : ٧٣/٢ . أحمد فخري ص ١٦٢ . الفنون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٤٥ . مظهر الأرياني : في تاريخ اليمن ص ١٥ . الهمذاني : الاكليل حـ ٨ ص ١٠٥ .

(٣) راجع في ذلك « الاكليل » (١٢٤/٨) للهمذاني . « Strabo III P. 355 » . جورجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص ٣ . تاريخ الأمة العربية (عصر الانبثاق) ص ١٠٤ للدكتور محمد أسعد طلس . التاريخ العربي القديم (المترجم) لهومل . وتاريخ العرب المطول (١٦٨/١) للدكتور فيليب حتى . « وتاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي » ص ١٢ ، للدكتور حسن سليمان محمود .

(٤) طلس ص ١١١ نقلاً عن البريت ص ٢٤ . جلازر : الأحباش ص ٢٩ – ٣٤ . هومل المترجم ص ١٠٦ – ص ١٠٧ .

(٥) « تاريخ العرب قبل الاسلام » (١٠٠/٢) للدكتور جواد علي . « اليمن وحضارة العرب » (٢٠ – ٢١) للدكتور عدنان ترسيس . « رحلة الى العربية السعيدة » (٢٤٠/٢) لنزيه ضيف .

(٦) هومل المترجم ٩٩ – ١٠٧ . طلس ١٠٨ نقلاً عن جلازر : ١١٤/١ . جواد علي : ١٢/٢ .

(٧) هومل المترجم ص ٩٣ ، جواد علي : ٢١٤/٢ . ابن كثير : « البداية والنهاية » : ١٥٩/٢ .

(٨) « العرب والملاحة في المحيط الهندي » ص ٥٣ للدكتور جورج فاضلون حوراني (ترجمة القاهرة ١٩٥٨) ، فيليب حتى : ٧٧ . « محاضرات في تاريخ العرب » ٢٦/١ للدكتور صالح العلي بغداد) ١٩٦٨) .

(٩) « أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية » ص ١٣ للأستاذ محمد أحمد حسونة (القاهرة ١٩٦٠) .

(١٠) « بين العرب والحبشة » للدكتور عبد المجيد عابدين (القاهرة ١٩٧٥) .

(١١) فيليب حتى : ٨٦/١ .

(١٢) الهمذاني : ١٧/٨ .

(١٣) Doughty: Charles, M: "Travels in Arabia Deserta Vol. II P. 224. London 1930"

(١٤) هومل المترجم ص ١٢٣ .

(١٥) جواد علي : ١٢٨/٨ .

(١٦) زيدان : ١٤٥ . جواد علي : ١٢٨/٢ . سليمان : ١٩ . لوبون : حضارة العرب (المترجم) ص ٤٥ . نافع : « عصر ما قبل الاسلام » : ٨١ – ٨٢ (القاهرة١٩٥٢) .

(١٧) جواد علي : ٤٢/٢ .

(١٨) حتى : ٧٧/١ .

(١٩) سليمان : ١٠١ ويقول لويس موسل : شمال الحجاز ص ١ : « فانه خلال الألف الأولى قبل الميلاد . كان الجزء الأعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب واقعاً في يد السبئيين والمعينيين الذين كانوا يسيطرون على الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية . وعلى الرغم من أنهم من جنس واحد إلا أنهم كانوا يتنافسون على السيادة لا في بلادهم فحسب بل في الواحات التي كانت تمر بها الطرق التجارية كذلك » .

(٢٠) سلمان : ٢٠٤ .

(٢١) راجع : « الحالة الاقتصادية عند عرب الجنوب في العصر القديم » : اعداد عبد الله ابراهيم العسكر – من مطبوعات كلية التربية جامعة الرياض سنة ١٩٧٢ .

(٢٢) حتى : ٢٤/١ .

(٢٣) « مكة والمدينة في الجاهلية وفي عصر الرسول » ص ١٢٨ : الدكتور أحمد ابراهيم الشريف .

(٢٤) حتى : ٦٨/١ .

(٢٥) سليمان : ص ١٤ .

(٢٦) جواد علي : ١١٤/١ .

(٢٧) لوبون : ص ٧٢ .

(٢٨) لوبون : ص ٤٧ .

(٢٩) لوبون : ص ٥٦ .

(٣٠) حتى : ٦٤/١ .

(٣١) حتى : ٧٦/١ .

(٣٢) « قصة الكتابة العربية » ص ٩٢ للدكتور ابراهيم جمعة (سلسلة اقرأ عدد ٥٣) .

(٣٣) صالح العلي : ص ٢٤ .

(٣٤) جواد على : ١٥٠/٣ . حتى : ٧٤/١ يقول سليماخزين .

« ان ثقافة بلاد العرب أقدم من ثقافة شرقي أروبا . وان الثقافة قد انتقلت منها في العصور الحجرية القديمة الى شرقي افريقية . وذلك لان عدن وبلاد اليمن كانت في تلك العصور مأهولة بالسكان ، وان قسماً من هؤلاء السكان قد هاجر الى عمان ومناطق الخليج العربي كما هاجر قسم آخر عن طريق باب المندب الى الصومال وكينيا وتنجانيقا ، على حين ذهب فريق ثالث عن طريق مأرب ونجران الى شبه جزيرة سينا والى فلسطين والأردن

( )

(٣٥) Triminghath P. 33

(٣٦) Ibid 33

(٣٧) راجع كتاب : « بين العرب والحبشة » ، الثقافة العربية الجاهلية في السودان» للدكتو عبد المجيد عابدين وفيهما الكثير من المعلومات والمراجع عن هذا الموضوع .

(٣٨) جواد على : ٣١٦/٦ (٣٩) الولاة والقضاة للكندي ص ١٧

(٤٠) الأمم والملوك « للطبري : ٢٨٥٩/١

(٤١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن »ص ١٦ . للدكتور حسين الهمداني والدكتور حسن سليمان الجهني (القاهرة ١٩٥٤) .

(٤٢) الهمداني : «الاكليل« : ١٠/ ٤٦ ــ ٥٠

(٤٣) يقول ابن حزم : «انساب العرب » ص ٣٨٩ : «ابراهيم بن الاشتر واسمه مالك وهم من بني مالك ويتصل نسبه بسبأ ومن النخع عمرو بن زرارة النخعي أول من خلع ولاءه الى الخليفة عثمان رضي الله عنه بالكوفة . وابراهيم بن الأشتر هو الذي قتل عبيد الله بن زياد قاتل الحسين علي رضي الله عنه .وقبيلة النخع ما زالت في اليمن . وتسكن في أبين شرقي عدن (الصليحيون ص ١٨ هامش(١) .

(٤٤) ابن الأثير : «الكامل « : ١٧٣/٢ .

(٤٥) يقول محب الدين الخطيب : «ان البراء هذا ليس له ذكر في كتب التراجم المتداولة في أيدي أهل السنة والشيعة ، مع ما وصفه به المؤلف (صاحب الإكليل) من الدهاء والزهد وما يذكره عنه من شعر ، وكونه من قتلى موقعة صفين ، كان يتقضي الايغفل ذكره في الكتب المشهورة (الاكليل : ٦٣/١٠ هامش (١٢) .

(٤٦) جاء في الطبرى : ٣٣٠٠/٣ : «أن ابراهيم بن الأشتر زحف يوماً في أثناء موقعة صفين ، فاستقبله معاوية بقبائل عك والأشعريين . فقال الاشتر لمزحج : اكفوني عكا ، ووقف في همدان وقال لكنده : اكفوني الأشعريين ، فاقتتلوا اقتتالا كثيراً ، وأخذ يخرج الى قومه فيقول : انما هم عك فاحملوا عليهم ، ويدل هذا دلالة واضحة على أن اليمنين كانوا في جيش علي ومعاوية على السواء كما يدل على أن النزاع لم يكن مبنياً على العصبية الاقليمية ،وكان اليمنيون يختارون أحد الفريقين على حساب ميولهم الشخصية ، أو مبادئهم الدينية ، ولكن أغلب اليمنيين وبخاصة المتحمسون منهم ، كانوا ينتمون الى حزب علي رضي الله عليه (الصليحيون ص ١٩ هامش (١٢) .

(٤٧) « الاكليل » : ٦٤/١٠ ــ ٦٥ ، اقرأ عن جهاد همدان ومواقفها من علي رضي الله عنه وآل بيته في كتاب « نزهة الأفكار » للشيخ ادريس عماد الدين (ت : ٤٧٢هـ) وهو محفوظ بالمكتبة المحمدية الهمدانية » مكتبة خاصة ملك المرحوم د. حسين الهمداني .

(٤٨) « تاريخ التمدن الاسلامي » (٥٢/٤) لجورجي زيدان .

(٤٩) « فجر الأندلس » ص ١٤٢ للدكتور حسين مؤنس (القاهرة ١٩٥٩) .

(٥٠) حكم في الفترة من رمضان سنة ١٠٠هـ حتى ذي الحجة سنة ١٠٢هـ « افتتاح الأندلس » ص ١٢ لابن القوطية ، أخبار مجموعة في تاريخ الأندلس(مدريد سنة ١٨٦١) .

(٥١) عبد الرحمن الغافقي . وهو يمني من غافق . ولكنه كان سليماً من نزعة العصبية التي ابتلى بها غيره . ومن دلائل ذلك أن عبيده بن عبد الرحمن القيس — عامل افريقية المتعصب للقيسية . أقامة على الأندلس . ويظهر أن الرجل كان مسلماً راسخ الايمان حريصاً على أصول الشريعة . لا يحفل في سبيل ذلك بغضب من بيدهم الأمر (ابن عبد الحكم : فتوح ص ١١٧) . ويصفه ايزيدور الباجي : بأنه كان رجلاً نشيطاً عنيفاً قاسياً لا يبالي أن ينزل بالنصارى أقسى المظالم . وأشد ألوان الاضطهاد والتخريب والقسوة (ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس رقم ٥٨٤) . وفي سنة ١١٤هـ عبر عبد الرحمن الغافقي جبال البرنات بجيش يبلغ سبعين ألف مقاتل معظمهم من البربر واليمنيين لأن أغلب سكان نواحي سرقسطة . كانوا يمنيين . ومنهم أغلب العرب المحاربين في ناحية البرنات وما يليها . وحارب الغافقي الفرنجة سنة ١١٥هـ في موقعة بلاط الشهداء حيث استشهد (راجع ذلك في كتاب : فجر الأندلس (ص ٢٦١ — ٢٧٦) للدكتور حسين مؤنس . دول الاسلام في الأندلس ص ٨٦ : للأستاذ محمد عبد الله عنان . وابن عذاري : ٢٧/٢ . ابن عبد الحكم : فتوح ص ٢١٦ . وابن الفرضي : ٥٨٤ .

(٥٢) أخبار مجموعة ص ٤٥ . ص ٦٤ . ابن عبد الحكم : ٢٢٠٢٢٣٠٢٤٣ . ابن عذاري : ٦٠/١ — ٧٠ . ابن خلدون : ١١١/٦ . البلاذري : ٢٣٢ . الكندي : ١٠٢ — ١٠٣ .

(٥٣) ابن الأثير : ٢٣٨/٥ ، ابن عذارى : ٤٢/٢ . الأخبار المجموعة : ٥٥ ، ٧١، ١٠١ . ابن القوطية : ٢٣ — ٢٥ .

(٥٤) الأخبار المجموعة ص ٨٤ . ابن القوطية ص ٢٥ . يقول : « ولما سار من شذونه الى أشبيلية خرج اليه خيارها من أهل اليمن فزادت حماسته وحماسة من معه . حتى نظر أحد رؤساء الجند فاذا جند الأردن بلوائهم . وجند فلسطين بلوائهم . وجند حمص بلوائهم ، وعبد الرحمن في مواليه من غير لواء فقال : سبحان الله ما أشد خلاف أمرنا . نحن بألوية وصاحبنا بلا لواء فأقبل أبو الصباح اليحصبي بعمامته لتكون لواء لعبد الرحمن » .

(٥٥) المقرى : « نفح الطيب » ٢٧٤/١ (القاهرة ١٩٤٧) .

(٥٦) مؤنس : فجر الأندلس ص ٣٦٩ . ويقول ابن القوطية ص ٢٠ : « كانت كتلة اليمنيين ناحية أشبيلية وغرب الأندلس أقوى مجموعاتهم . وأكثرها نظاماً . وكان أبو الصباح هو شيخ اليمنية في غرب الأندلس . ومسكنه قرية مورة » .

(٥٧) ويؤيد ابن القوطية ص ٢٢ كثرة اليمنيين في اقليمي البيرة وجيان .

(٥٨) مؤنس : « فجر الاسلام » : ٣٧٠ — ٢٧١ .

(٥٩) مؤنس : « فجر الاسلام » ص ٣٧٧ .

(٦٠) ابن عذارى : « البيان » ص ٢٦ .

(٦١) راجع بحثاً مطولاً عن « البربر وأصلهم واختلاف الآراء في ذلك » في كتاب « تاريخ المغرب العربي للدكتور سعد زغلول عبد الحميد من ص ٢١ — ٤١ (القاهرة ١٩٦٤) .

(٦٢) هو : « ايرك فون هورن بوستل » (١٨٧٧ – ١٩٣٥) من علماء الموسيقا في النمسا ، درس في فينا وأصبح مديرا لمؤسسة الوسائل الموسيقية في فينا . وسجل الكثير من أغاني الشعوب غير المتحضرة .

(٦٣) الزامل : هو نشيد يعتقد أهل اليمن أن مجرد انشاده يبث الفزع في قلوب الأعداء ويرعبهم . ويرغمهم على الفرار .

(٦٤) ابن عبد الحكم : « فتوح مصر » ص ٥٦ .

(٦٥) نفسه ص ٥٨ .

(٦٦) السيوطي : « حسن المحاضرة » ٧٦/١ .

(٦٧) ابن عبد الحكم : « فتوح مصر »

(٦٨) المقريزي : « البيان والأعراب » ص ٣٥ .

(٦٩) مالك بن أنس الأصبحي (ت : ٧٦٥م) : عاش بالمدينة وكان محدثاً وفقيهاً . وله كتاب « الموطأ » جمع فيه ما صح عنده من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفقه الصحابة ، وانتشر مذهبه في مصر وشمالي افريقية والأندلس وبعض بلاد المشرق .

(٧٠) القاضي عياض اليحصبي تخرج في مدرسة سبته ، التي كانت تتلقى المؤثرات الأندلسية والمغربية على السواء . وكان ذلك في عهد المرابطين . ولما هجم الموحدون على سبته سنة ٥٤٣هـ بادر القاضي عياض فبعث الى القاضي الموحدي ببعثة وبيعة أهل سبته الى الموحدين وبذلك أنقذ المدينة . وسار القاضي عياض بعد ذلك الى مراكش ليستعطف الخليفة عبد المؤمن بن علي . ويلتمس صفحة . فعفا عنه عبد المؤمن ، واعتدق عليه وبقي القاضي عياض بمراكش حتى توفي فيها سنة ٥٤٤هـ (ابن الابار : التكملة ٧٣/١ . أخبار المهدي بن تومرت ص ١٠٦) .

(٧١) المنصور بن عامر المعافري (ت : ١٠٠٢م) : وهو من أبرز قادة العرب وأقدرهم سياسة ، نشأ في الأندلس ، وتدرج في المناصب في قرطبة في عهد الحكم الثاني (٩٦١ – ٩٧٦م) ، ثم أصبح وزيراً في عهد خلافة هشام الثاني (٩٧٦ – ١٠٠٩م) وله تاريخ حافل في حروبه مع نصارى الأندلس .

(٧٢) المهلب بن أبي صفرة (ت : ٨١٢م) : من قواد العرب الذين لهم الفضل في كثير من الحروب في عهد الأمويين . ناصر عبد الله بن الزبير ، ثم بايع عبد الملك بن مروان وحارب الخوارج ، كما اشترك في الحملات التي وجهها الأمويون الى بلاد الهند وبلاد ما وراء النهر (الطبري : ٢٧٤/٥) .

(٧٣) عبد الرحمن بن الأشعث : كان من رجال بني أمية . ثم خرج على الحجاج . وقام بأعظم ثورة ضده . انضم اليها الموالي . ثم هزم وقتل (الدينوري ص٣٨١ . الطبري : ١٦/٨ . المسعود : « مروج الذهب » : ٧٥/٣) .

(٧٤) عمير من سادات العرب . وكان لأبيه مصعب مآثر عظيمة بافريقية والأندلس ، ومشاهد في غزو الروم (ابن أبي زرع : « القرطاس » ص ١٤) ، ويقول ابن خلدون ١٣/٣ : « يسمي

الوزير ابن عمير الأزدي بالملجوم وذلك أثر جرح في أنفه من ضربة سيف وكأنها خطام . وقد اتخذه ادريس المثلث (١٧٥ – ٢١٣هـ) وزيراً له(زغلول ص ١٢٨) .

(٧٥) « القرطاس » ص ١٣ . ابن خلدون : ١٣/٤ يقول : « ولقد اتخذه ادريس الثاني كاتباً له » .

(٧٦) ابن أبي أصيبعة : هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي ، ولد بدمشق سنة ٦٠٠هـ (١٢٠٣م) . وكان والده كحالاً . عمل بالمستشفى النوري بدمشق ، ثم انتقل الى القاهرة . وعمل بالمستشفى الناصري سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٦م) ومنها ذهب الى سرخد حيث توفي بها سنة ٦٦٨هـ (١٢٧٠م) . وكان طبيباً ماهراً . وعالماً في الأدب والتاريخ . وقد اشتهر بمؤلفه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » الذي وضعه في سرخد حوالي سنة ٦٤٠هـ . وجمعه وطبعه أول مرة امروٌ القيس بن طحان سنة ١٨٨٢م . ثم أعاد (مولر) طبعه سنة ١٨٨٤م ، مع زيادة ١١٦ صفحة . ويعد هذا المؤلف مرجعاً أساسياً لدراسة الطب والعلوم في العهد الاسلامي .

(٧٧) وهب بن منبه (٦٥٤ – ٧٣٢م/١١٠هـ) : عالم بأساطير الأولين ولا سيما الاسرائيليات ويعد من التابعين . وأصله . من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن . وأمه من حمير ولد ومات بصنعاء. وولاه عمربن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١هـ)قضاءها.ومن كتبه: «ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » وله كتاب آخر هو « قصص الأنبياء » ثم كتاب : « قصص الأخيار » (راجع : ابن سعد : طبقات ٥٤٣/٥ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٤٥٩ ، ص ٦٢٥ . د. حسين نصار : « نشأة التدوين التاريخي » ص ٣٧ . د. عبد العزيز الدوري : « علم التاريخ عند العرب » ص ٢٦ . ١١٥ ، جورجي زيدان : « تاريخ التمدن الاسلامي » ص ٩٩/٣) .

(٧٨) محمد بن السائب الكلبي (ت : ١٤٦م) : يعد من النسابة المشهورين ، كتب في التفسير والأحداث الاسلامية وأيام العرب . شهد موقعة الجماجم مع ابن الأشعث (ابن قتيبه : المعارف ص ٥٣٥) ويقول ابن سعد : الطبقات : ٣٨٥/٦ : « انه عالم بالأنساب والتفسير وأحاديث العرب . وليس في روايته ضعف » ، ابن النديم : الفهرست ص ١٤٩ .

(٧٩) أبو مخنف الأزدي (ت : ١٥٧هـ) : يقول عنه ابن قتيبه (المعارف ص ٥٣٧) : «كان صاحب أخبار وأنساب . وقد ذكر له ابن النديم : « الفهرست » ص ١٣٦ « ثلاثة وثلاثين مؤلفاً » ، وجاء في دائرة المعارف الاسلامية » ٤٩٠/٤ أن أبا مخنف كان من شيعة علي بن أبي طالب » .

(٨٠) الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (ت : ١٨٠هـ) : وهو أول من ضبط اللغة وأول من أخرج علم العروض الى الوجود . وأهم مؤلفاته كتاب العين (راجع كتاب تاريخ أدب اللغة العربية (١٤٠/٢) لجورجي زيدان) .

(٨١) الكندي الفيلسوف (ت : ٢٦٠هـ) : هو أبو يوسف بن اسحاق الكندي . ولد بالكوفة سنة ١٨٥هـ (٧٩٦م) . من أسرة عربية نبيلة . من قبيلة كنده في جنوبي شبه الجزيرة . كان والده أميراً على الكوفة . حيث قضى ابنه طفولته . وتلقن علومه راجع : « طبقات الأمم » ص ٥٩ وما بعدها وقدم بعد ذلك الى بغداد (القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٣١) ، وهناك حظي برعاية

الخليفة المأمون ثم المعتصم ، وفي عهد المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧) زالت حظوته . وتوفى منعزلا في بغداد سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣م) (راجع : « تاريخ الفلسفة الاسلامية » (المترجم) من ص ٢٣٥ – ٢٤١ طبعه بيروت سنة ١٩٦٦ .

(٨٢) أبو محمد الحسن بن أحمد الهمذاني : من بيت متوسط من بيوت بكيل من بني قيس بن ربيعة بقي سلف أبي محمد في بلدة المراثي من أودية جوف همدان حتى انتقل جده الى وادي الخارد في أواسط القرن الثاني للهجرة ، في خلافة جعفر المنصور العباسي . ثم انتقلت الأسرة الى صنعاء في الربع الأول من القرن الثالث الهجري زمن المعتصم أو الواثق ، وفي صنعاء ولد الحسن ابن أحمد الهمذاني ، ولا نعرف تاريخ ولادته بالضبط . ولقد نشأ أبو محمد مدفوعاً بذكائه ومواهبه الى المشاركة في جميع المعارف في عصره . وبلغت دواوين شعره ستة مجلدات على ما نقله السيوطي في كتابه « بغية الوعاة » نقلاً عن مؤرخ أبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي المتوفي سنة ٨١٢هـ ، وترك الحسن الهمذاني صنعاء متجهاً الى ريده عاصمة البون ، ودار ملك بني الضحاك . الذين أزالوا مملكة آل يعفر (راجع : « الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن للدكتور حسن سليمان . وأثبت نزعات الهمذاني هي همدانية ويمنية فهي لونه الثابت الذي كان يحب أن يصبغ به ما كان يقع نظره عليه . وللهمداني مؤلفات كثيرة (راجع : « كتاب الاكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير » حـ ١ – القاهرة ١٣٦٨هـ) .

(٨٣) نشوان الحميري (ت : ٥٧٣هـ/١١٧٨م) : أصله يمني من حمير . وكان عارفاً بأخبار عرب الجنوب ، وخاصة حمير ، ويقول القفطي : « كان يفضل قومه اليمنيين على الحجازيين ويفاخر عدنان بقحطان . وله كتب منها : « شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم » وهو في ثمانية مجلدات وله القصيدة الحميرية . ثم له كتاب « الحور العين » و « الفوائد والقلائد و « خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة » و « التبيان في تفسير القرآن » (راجع بغية الوعاة ص ٤٠٣ . ارشاد الاريب ٢٠٦/٧ . مفتاح الكنوز : ١١٦/١ . معجم البلدان ٣٣٦/٥ . الاعلام للزركلي : ٢٣٥/٨) .

(٨٤) ابن خلدون (ت : ٨٠٨هـ) : هو عبد الرحمن بن الحسن من قبيلة كنده . وله جد اسمه (خالد) سمّيت باسمه الأسرة ، وخالد هو أول من هاجر من اليمن الى الأندلس في القرن الثالث الهجري . وكان لهذه الأسرة مجد كبير في الأندلس . وخاصة في أشبيلية ثم هاجر بعضها الى سبته ، بعد أن دب الانحلال في دولة الموحدين في الأندلس ، ثم الى تونس حيث ولد ابن خلدون بها سنة ٧٣٢هـ (١٣٣٢م) . وتوفى في القاهرة في رمضان سنة ٨٠٨هـ (١٤٠٦م) وفي تونس نشأ ابن خلدون ، وتعلم وتقلد المناصب في عهد دولة بني مرين (راجع : دائرة المعارف الاسلامية : ١٥٣/١ ، بروكلمان : ٢٤٢/٢) .

(٨٥) محمد مرتضي الزبيدي (ت : ١٣٠٥هـ) : ولد بالهند سنة ١١٤٥هـ ونشأ بها ثم رحل الى اليمن وأقام بزبيد حتى سمي بالزبيدي ، ثم سافر الى مصر سنة ١١٦٧هـ ، ودرس هناك على علماء عصره ، ثم تزوج بها ، وقام بتأليف كتاب : « تاج العروس » في علوم اللغة ، واستمر في

ذلك أربع عشرة سنة . وأتمه في عشرة مجلدات . وله كتب أخرى بلغت المائة منها . « شرح كتاب الأحياء » للغزالي . و « تكملة القاموس » و « شرح حديث أم زرع » (تاج العروس : ٤٦٩/١٠ طبعة بيروت سنة ١٩٦٦) وتوفي بالطاعون في شعبان سنة ١٣٠٥هـ ولم يترك ذرية . ودفن في السيدة رقية بالقاهرة .

(٨٦) امرؤ القيس بن حجر (ت : ٥٤٠م) ينتصل نسبه بملوك كنده . وهو أشعر شعراء الجاهليين وأشرفهم أصلاً (انظر عن كنده وملوكها أجداد امرئ القيس كتاب : تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٣ للدكتور جواد علي . « تاريخ العرب المطول » حـ ١ فيليب حتى . أولندر : ملوك كنده) . وكنده بطن من كهلان . وكانوا يقيمون في البحرين والشقر ، ثم انتقلوا الى منازل كنده في حضرموت . واليها ينتسبون (راجع كتاب تاريخ أدب اللغة العربية حـ ١ ص ١٠٧ لجورجي زيدان — طبعة القاهرة ١٩٠٧) .

(٨٧) أبو الطيب المتنبي الجعفي (ت : ٣٥٤هـ) وبنو جعفى بطن من بطون سعد العشيرة من القحطانيين فهو عريق في يمنيته . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ في حلة تسمى كنده فنسب اليها وليس هو من قبيلة كندة المعروفة . وكان والده سقاء ، ولكن ابنه نشأ في طلب العلم والأدب ، وكان قوي الحافظة . مطبوعاً على الشعر . انتقل به والده الى الشام وهناك حفظ من اللغة غريبها وحواشيها وأشعار الجاهلية . واشتهر بالفصاحة والبلاغة . ويعتبر شعره في الدرجة الأولى من القوة والبلاغة « يتيمه الدهر حـ ١ . الأنساب للسمعانه : ٥٠٦/١ . الصبح المنبي عن حقيقة المتنبي للبديعي . « الواسطة بين المتنبي وخصومه » لعلي بن عبد العزيز الجرجاني ، « خزانة الأدب » : ٣٨٢/١ ، « مع المتنبي » للدكتور طه حسين . الفن ومذاهبه في الشعر العربي . لجورجي زيدان » .

(٨٨) أبو العلاء المعري التنوخي (ت : ٤٤٩هـ) : هو الشاعر الحكيم الفيلسوف ، أحمد بن عبد الله ابن سليمان بن محمد التنوخي . ولد في المعرّة سنة ٣٦٣هـ في عهد الحمدانيين . ويعد خاتمة شعراء العصر العباسي الثالث . كفّ بصره وهو طفل في الثالثة من عمره . ولقنه أبوه — وكان من أهل الأدب — النحو واللغة في صغره ، ولما بلغ العشرين . عمد الى سائر علوم اللغة وآدابها . فاكتسبها بالاجتهاد وقوة الحافظة وله مؤلفات عديدة (راجع : « تعريف القدماء » لأبي العلاء . « تجديد ذكرى أبي العلاء » ، « مع أبي العلاء في سجنه » ، « الفن ومذاهبه في النثر العربي » . . . . الخ .